اليوم الآخر

أمارات الساعة . أحوال القبور . النفخ فى الصور

الحشر . الحساب . الميزان

النار و عذابها

الجنة و نعيمها

عبد القادر الرحباوى

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

منحة 2006
SIDA
السويد

عبد القادر الرحباوي



دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة التاسعة
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي : ١١٦٣٩
هاتف ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢ +) فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
e-mail : info @ dar-alsalam.com http : //www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الخامسة

الحمد لله على توفيقه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى طريقه ، وعلى آله وأصحابه الذين نهلوا من معين رحيقه وبعد :

لقد لقي بفضل الله وتوفيقه كتابنا ـ اليوم الآخر ـ من السادة العلماء استحساناً ، ومن القراء الكرام قبولاً ، مما جعل الكتاب يطبع عدة مرات ، وكان الواجب علي أن أعيد النظر في كل طبعة تصدر ، إلا أنه لم يتسن لي ذلك مما جعل الكتاب تكثر فيه الأخطاء ولقد رأيت لزاماً علي بعد الاطلاع على الطبعة الرابعة وقراءة الكتاب أن أعيد النظر فيه وأن أصحح الأخطاء التي حدثت في أثناء تكرار طباعته ، وأن أزيد فيه مما لابد من زيادته ، وأن أحقق بعض الأمور التي تحتاج إلى تحقيق ، وأن أوضح بعض الأمور التي تحتاج إلى توضيح ، وإن كان الكتاب قد جاء بفضل الله بشكل مبسط وموضح بحيث يفهمه الخاصة والعامة ، إذ لم يكن قصدي حين كتابته أن يكون كتاباً أدبياً يهمني فيه اختيار الألفاظ الغريبة والجمل الرنانة . وألاَّ يكون أسلوبه معقداً كأسلوب الكتب القديمة التي تحتاج إلى شروح وتقريرات . وإنما أردته أن يكون كتاباً يخاطب القلب والروح فتنعكس آثاره على سلوك القارىء فيغذي عاطفته ويحقق الاستقامة التي هي ثمرة الإيمان .

إذ إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ، بل هو العنصر الهام الذي يلي الإيمان بالله مباشرة ، لأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي

يصدر عنه هذا الكون ، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود .

ولا يجني الفرد ثمرة الإيمان باليوم الآخر إلا إذا ترقى إيمانه به إلى درجة اليقين . وهذا هو سبيل المهتدين ، وإيمان المتقين . قال تعالى : ﴿ **الٓمٓ * ذَلِكَ الكتابُ لارَيبَ فيهِ هُدى للمُتقينَ * الذينَ يُؤمِنونَ بالغَيبِ ويُقيمُونَ الصلاةَ ومِمَّا رَزَقناهُم يُنفِقُونَ * والذينَ يُؤمِنونَ بِمَا أُنزِلَ إليكَ وما أُنزِلَ من قَبلكَ وبالآخرةِ هُم يُوقنون * أولئكَ عَلى هُدى مِنْ رَبِّهم وأُولئكَ هُم المفلحُونَ** ﴾[1] .

هذا وإن رواج كتاب « اليوم الآخر » وتلقي القراء له بالقبول ، قد دفعني وشجعني إلى الكتابة عن الركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله . إذ إن المعرفة باليوم الآخر والإيمان به لاتقل أهمية بالله والمعرفة به ، وأسأل الله أن يعينني على إنجازه وأن يصدر قريباً ، حيث إن الناس بحاجة إلى معرفة هذه الأمور التي هي أصل الدين وأساسه . وإني لعلى يقين من أن الكتابة في مثل هذه المواضيع الإيمانية لاتحقق غاية ولاتعطي ثمرة إلا إذا كانت بأسلوب عصري مقنع ينفذ إلى القلب فيحرك المشاعر نحو الهدف الأسمى والغاية المنشودة ، ولابد من شروط يجب أن تتوافر في الكاتب ـ ولا أدعي أنني أملكها ـ حتى يحقق غايته ويبلغ قصده . وهي :

أولاً : الإخلاص لله سبحانه وتعالى فيما يكتب .

ثانياً : ألاّ يتكلف في كتابته ويقتطع في الأسلوب والتعبير .

ثالثاً : أن يكون مايكتبه نابعاً عن شعور إيماني ويكون صادقاً فيما يكتب حتى يمكنه أن ينقل ذلك الشعور إلى القارىء بواسطة قلمه .

---

(١) البقرة : ١ ـ ٥ .

أما إذا لم يكن ما يكتبه نابعاً عن شعوره ومتأثراً به فإنه لايغذي عاطفة ولا ينمي شعوراً ، والإيمان تذوق وإحساس ولقد قيل : فاقد الشيء لايعطيه ، وفاقد الإيمان لايعطي الإيمان .

والإيمان موطنه القلب لا العقل ، فما خرج من القلب وقر في القلب وما خرج من اللسان لايتجاوز الآذان .

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً ، ويقيناً صادقاً ، وإخلاصاً لاتشوبه شائبة من محبطات الأعمال ياذا الجلال والإكرام .

ولاأنسى أن أتوجه بالشكر إلى فضيلة الأخ الشيخ صفوت السقا على مابذله من جهد في سبيل تخريج أحاديث الكتاب وعزوها إلى مصادرها الأصلية من كتب الصحاح والسنن وغيرها فجزاه الله على ذلك خير الجزاء .

كا أني ألفت انتباه القارىء الكريم إلى ناحية هامة تتعلق بالكتاب وهي : أنه مما لاشك فيه أن العقيدة لاتثبت إلا بدليل صحيح ، قطعي الورود وقطعي الدلالة وهذا لا يتوافر إلا في القرآن الكريم والسنة المتواترة . ومعلوم أن الإيمان باليوم الآخر عنصر هام من عناصر العقيدة ، وإنني باستعراضي لليوم الآخر بدءاً من الموت وأحوال القبر ومشاهد القُيامة وبيان أحوال أهل النار وعذابهم ، وأحوال أهل الجنة ونعيمهم في كل ذلك مستشهداً بكتاب الله والسنة الصحيحة ، وإن كان هناك ثمة أحاديث ضعيفة أو أقوال مأثورة ، أو قصة تروى ، فإني لاأذكرها إلا في مجال الموعظة والتذكير مشيراً إلى ضعفها كعادة العلماء والمحدثين بـ (يُروى أو يُحكى) . ولا أوردها لتقرير وثبوت عقيدة يجب اعتقادها .

حيث إن الكتاب كتاب موعظة وتذكير ـ فهو بحق ـ تذكرة للناسي ودواء للقلب القاسي نفع الله به المسلمين ، وذكر به الغافلين .

مالي سوى هـذا الكتـاب ذخيرة أرجـو بـه رحمـاك يـاخير غـافر
فـإن ترحم فـأنت لـذاك أهـل وإلا فمن يرجـو عُبَيـد القـادر
فـاغفر بفضلـك يـاإلهي زلتي وأقـل عثـاري يـوم تبلى السرائر

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المؤلف

عبد القادر الرحباوي

٢٥ شوال سنة ١٣٩٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإيمان ، ووفقنا لخدمة دينه بالقلم واللسان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى سبيله بالحجة والبرهان ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان . وبعد :

فإن الإيمان باليوم الآخر شرط لصحة الإيمان ، فمن أنكره أو شك فيه فهو كافر مرتد عن الإسلام بلا خلاف .

ولقد حذر القرآن الكريم في كثير من آياته من هول ذلك اليوم وشدته فقال تعالى :

﴿ واتَّقُوا يوماً تُرجَعُونَ فيه إلى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لايُظْلَمُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ ياأَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُم إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَئٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرى النَّاسَ سُكَارى وما هُم بسُكَارَى ولكنَّ عَذَابَ اللهِ شديدٌ ﴾[2] .

وقال تعالى :

﴿ ياأَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ واخْشَوا يَوماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ولا مَوْلُودٌ هُو جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شيئاً إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فلا تَغُرَّنَّكم الحَيَاةُ الدُّنْيا ولايَغُرَّنَّكم

---

(١) البقرة : ٢٨١

(٢) الحج : ١ ، ٢

بالله الغَرورُ ﴾[١] .

﴿ ياأَيُّهـا الَّذِينَ آمنوا اتَّقُوا الله ولتَنْظُرْ نَفْسٌ مـاقَدَّمَتْ لغـدٍ واتَّقُوا الله إن الله خَبِيرٌ بما تَعْمَلونَ ﴾[٢] .

ولما كان أكثر الناس مؤمنين باليوم الآخر إلا أنهم لايعرفون عنـه إلا القليل . لذا فإني أقدم كتابي هذا ـ اليوم الآخر ـ هـديـة إلى كل مسلم مؤمن بـاليوم الآخر ليكون له حافزاً على الأعمال الصالحة ، ورادعاً له عن الأعمال السيئـة والمعـاصي . حيث إن العبد على قدر معرفته بربه وبالذي يرجوه أو يخافه يكون عمله ، ولـذا يقول تبارك وتعالى :

﴿ إنَّما يَخشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾[٣] .

وقال تعالى :

﴿ قُـلْ هَـلْ يَستَـوِي الَّـذِينَ يَعْلَمُـونَ والَّـذِينَ لا يَعْلَمُـونَ إنَّما يَتَـذَكَّرُ أولـوا الألباب﴾[٤] .

وقال تعالى مخبراً عن الرسل :

﴿ ويَدعُونَنَا رَغَباً وَرَهباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[٥] .

هذا ولما كان الإيمان باليوم الآخر هو إيمـان بـالغيب ، والإيمـان بـالغيب إنمـا يثبت بـالـدليل السمعي حيث إنـه فوق مستوى العقل البشري . والـدليل السمعي إنما هو الكتاب والسنة الصحيحة ، فإني أذكر لك ماجـاء في القرآن الكريم ، ومـا

---

(١) لقمان : ٣٣

(٢) الحشر : ١٨

(٣) فاطر : ٢٨

(٤) الزمر : ٩.

(٥) الأنبياء : ٩٠

ثبت من السنة لتكون على معرفة بما تؤمن به ، ولتعرف ماهو اليوم الآخر الذي تعمل من أجله لتكون فيه من المفلحين . وإنه لليوم الذي يجعل الولدان شيباً . كما أنه اليوم الذي يجازي الله فيه العباد بأعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وستعلم ذلك في هذا الكتاب والله نسأل أن يجعلنا من المخلصين فيما نعمل ، أو نقول ، أو نكتب ، وأن يعاملنا بما هو أهله ، ولا يعاملنا بما نحن أهله ، إنه أهل التقوى وأهل المغفرة . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد القادر الرجباوي

الموت طريقنا إلى الآخرة

لما كان الموت هو الطريق إلى الآخرة فإني أبدأ بذكره فاعلم ياأخي أن الموت أكبر واعظ للناس ولكن القلوب القاسية لاتتعظ ، وإلا كفى بالموت واعظاً ـ كما قال عليه الصلاة والسلام[١] ، فاعلم ياأخي أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين .

قال تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموتِ وإنَّما تُوَفَّونَ أُجُورَكُمْ يَومَ القِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَ مَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ ﴾[٢] .

وقال تعالى :

﴿ قُلْ إنَّ الموتَ الذي تَفِرُّونَ مِنهُ فإنه مُلاقيكم ثُمَّ تُرَدُّونَ إلى عَالِمِ الغَيبِ والشَّهادَةِ فيُنَبِّئُكم بمَا كُنتُم تَعمَلُونَ ﴾[٣] .

وقال جل شأنه :

﴿ أَينَمَا تكُونُوا يُدْرِككُّم الموتُ ولو كُنتُم في بُروجٍ مُشَيَّدةٍ ﴾[٤] .

وإن الموت لأمر لايتطرق إليه شك بل هو أمر مسلم به حيث إنه من الأمور المحسوسة المشهودة ومع هذا فإن أكثر الناس عنه لغافلون .

فعلى المسلم أن يكثر من ذكره ، وأن يستعد له . وإن ذكر الموت ليهون على الإنسان هموم الدنيا ويزهده فيها ، كما أنه يكفر عن ذنوبه .

---

(١) وتمام الحديث : وكفى باليقين غنى . رواه الطبراني عن عمار ـ الفتح الكبير (٢ / ٣١٨)

(٢) آل عمران : ١٨٥ .

(٣) الجمعة : ٨ .

(٤) النساء : ٧٨ .

وروى ابن أبي الدنيا أن النبي ﷺ قال : « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحِّص الذنوب ويزهد في الدنيا »[١] .

وقال ﷺ : « أكثروا ذكر هاذم اللذات ـ يعني الموت ـ » رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه[٢] .

قال بعضهم :

تأهب للذي لابد منه ... فإن الموت ميقات العباد
أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

فما على المسلم إلا أن يتزود من دنياه لآخرته قبل أن يفوته الأوان .

قال تعالى :

﴿ وتَزَودُوا فإن خَيرَ الزَّادِ التَّقوى واتقونِ ياأُولي الألبابِ ﴾[٣] .

أرأيت ياأخي لو أن إنساناً أراد أن يسافر سفراً طويلاً ألا يتأهب له ؟ ويحمل معه الزاد الكافي مخافة أن يجوع على الطريق ؟

وإن سفرنا إلى الآخرة لطويل نحتاج فيه إلى الزاد ، وزادنا في هذا السفر هو تقوى الله سبحانه وتعالى ، فمن تزود بها نجا وقطع الطريق بسلام ، ومن لم يتزود بها فقد خاب وخسر ، فالسعيد من تزود لسفره وأعدّ له عدته ، والشقي من اغترّ في هذه الدنيا وانهمك فيها ، وانغمس في الشهوات واللذائذ ووافاه الأجل ، وأدركته المنية وهو على المعصية مصرٌّ ، وللطاعة تارك ، ففي مثل هذا

---

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير قال المناوي في فيض القدير (٨٦/٢) قال الحافظ العراقي : إسناده ضعيف جداً .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ماجاء في ذكر الموت رقم /٢٣٠٧ / ورقم / ٢٤٦٠ / وقال حسن غريب . والنسائي كتاب الجنائز كتاب كثرة ذكر الموت رقم/١٨٢٥/ .

(٣) البقرة : ١٩٧ .

يقول الله تعالى :

﴿ حَتَّى إذا جَاءَ أَحَدَهُم الموتُ قال رَبِّ ارجِعُون * لَعلِّي أعملُ صالحاً فيما تَرَكتُ كَلاَّ إنَّها كَلِمةٌ هُوَ قَائِلُها ومِن وَرَائِهِمْ بَرزَخٌ إلى يَومِ يُبعثُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّها الَّذِينَ آمنوا لاتُلهِكُمْ أَمْوَالُكُم ولا أَولاَدكُم عن ذِكرِ الله وَمَنْ يَفعَلْ ذلك فأولئك هُمُ الخَاسِرونَ * وأَنفقُوا من ما رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبلِ أن يَأتِي أَحَدَكُمُ الموتُ فيقولَ رَبِّ لَولا أَخَّرتَني إلى أَجل قَرِيبٍ فأَصَّدَّقَ وأَكُنْ مِنَ الصَّالِحينَ * وَلَنْ يُؤخرَ اللهُ نَفْساً إذا جاءَ أَجَلُهَا والله خبيرٌ بما تَعمَلونَ ﴾[2] .

وروى أحمد والبيهقي والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » .

قال بعضهم :

يامن بدنياه اشتغل	قد غره طول الأمل
الموت يأتي بغتة	والقبر صندوق العمل

فاعلم ياأخي نبهني الله وإياك من رقدة الغافلين أن لكل إنسان أجله الذي قدره الله تعالى له في سابق علمه الأزلي ، فلا يتقدمه لحظة ولا يتأخره .

قال الله تعالى :

﴿ فإذا جَاءَ أَجَلُهَم لا يستأخرون ساعة ولا يستَقْدِمونَ ﴾[3] .

---

(١) المؤمنون : ٩٩ ـ ١٠٠ .
(٢) المنافقون : ٩ ـ ١١ .
(٣) الأعراف : ٣٤ .

وأن أجل كل إنسان مبهم ، فلا يعلم متى يأتيه الموت .

ولربما جاءه الموت على حين غفلة من غير نذير ، وهو يؤمل في الحياة آمالاً بعيدة . فلا تغتر بشبابك وتظن أنه لا يموت إلا الشيخ ، فكم مات من شباب ، وكم مات من كهول ، وكم مات من شيوخ كانوا أطول منك آمالاً في الحياة ، وأشد حرصاً منك على الدنيا . فكم من بانٍ لم يسكن ، وكم من زارعٍ لم يأكل ، وكم من خاطب لم يتزوج ، وكم من مؤلف لم يتم .

قال بعض الحكماء :

ألا أيها الناسي رحيله
أراك عن الموت المفرق لاهيا
ولا ترعوي بالظاعنين إلى البلى
وقد تركوا الدنيا جميعاً كما هيا
ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة
وما عمروا من منزل ظل خاليا
وهم في بطون الأرض صرعى جفا
هُمُ صديق وخل كان قبل موافيا
وأنت غداً أو بعده في جوارهم
وحيداً فريداً في المقابر ثاويا
جفاك الذي قد كنت ترجو وداده
ولم تر إنساناً بعهدك وافيا
فكن مستعداً للحمام[1] فإنه
قريب ودع عنك المنى والأمانيا

---

(١) الحمام : الموت .

فتنبه ياأخي من غفلتك ، واستيقظ من نومك ، واعلم أنه لابد من اليوم الذي يلقاك فيه على فراش المنية وأنت تجود بالروح ، والأهل والأحباب من حولك يخاطبونك فلا تجيب ، بل أنت مشغول عنهم بما أنت فيه من شدة الموت وسكراته ، وتدور عيناك تنظر إليهم نظرة المستغيث وهم يخاطبونك : يافلان هذا ولدك من حولك ، هذا أخوك فلان ، هذا صديقك فلان ، وكأن في أذنيك وقراً ، فلا تملك إلا أن تنظر إليهم نظرة المودع الآسف على مافاته وما فرط في جنب الله ، فلا ولد يستطيع رد روحك ، ولا أخ ، ولا أم ، ولا أب ، ولا زوج ، ولا ينفعك مال شقيت بجمعه ، وأرهقت نفسك في سبيل الحصول عليه ، واسمع قول الله تعالى في ذلك إذ يقول :

﴿ فَلَولا إذا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ * وأَنْتُم حينئذٍ تَنظُرونَ * ونَحنُ أَقْرَبُ إليه مِنكُم وَلكِن لا تُبْصِرُونَ * فلولا إنْ كُنتم غير مَدِينين * تَرجِعونها إن كُنْتم صَادِقين * فأمَّا إن كانَ مِنَ المقَرَّبينَ * فَروْحٌ وَرَيحَانٌ وجنةُ نَعيم * وأَمَّا إن كَانَ مِنْ أَصحَابِ اليمين * فَسَلامٌ لكَ من أصحاب اليمين * وأَمَّا إنْ كَان مِنَ المُكذِّبينَ الضَّالِينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيم * وتَصْليةُ جَحيم * إن هذا لَهُوَ حَقُّ اليقينِ * فسبِّح باسمِ رَبِّكَ العظيم ﴾[1] .

ويقول أيضاً :

﴿ كلاَّ إذا بَلَغَتِ التَّراقِي * وَقِيلَ مَنْ راق * وظَنَّ أنَّهُ الفِراقُ * والتفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ * إلى رَبِّكَ يومئذ المسَاقُ ﴾[2] .

والمعنى : أنه إذا بلغت الروح التراقي ـ والتراقي هما العظمان اللذان عند نقرة الحلقوم مما يلي الكتفين ـ فإن الإنسان عندها يتيقن فراق الدنيا ، وفي هذا الحال

---

(١) الواقعة : ٨٣ ـ ٩٦ .

(٢) القيامة : ٢٦ ـ ٣٠ .

تكون الروح سلبت منها ، وأما الذين حوله فإنهم يقولون : من يرقيه ، حيث كانوا يعتمدون على الرقية في التداوي .

وأما الآن فإنهم يقولون : أحضروا له الطبيب ، أسعفوه . ولكن أنَّى للطبيب أن يدفع عنه الموت ، ولو كان يستطيع أن يدفع الموت عن أحد لدفعه عن نفسه . ولكن الطبيب لا يملك بعد أن يراه إلا أن يقول لأهله : أريحوه ، أو يقول لهم : خلفكم بالله البقاء في حياتكم . أو غير ذلك . وكما قيل :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

وبعد ذلك يُهيَّأ له النعش ، ويتجهز للسير إلى الله ، لا يحمل شيئاً من الدنيا كيوم ولدته أمه عارياً ، إلا أنه مستور بالكفن وصدق الله إذ يقول :

﴿ لَقَدْ جِئتُمونَا كَمَا خَلَقناكَم أولَ مرةٍ بل زعمتم ألَّن نجعلَ لكم موعداً ﴾[1] .

وقال تعالى :

﴿ ولَقَدْ جِئتُمونا فُرَادَى كما خلقناكُم أول مرةٍ وتركتم ماخَوَّلناكُم وراءَ ظُهُورِكُم وما نَرى معكُم شُفَعَاءَكُم الَّذِين زَعَمتُم أنهم فيكم شُرَكاء لقد تَقَطَّعَ بينكم وضلّ عنكم ماكنتم تَزْعُمونَ ﴾[2] .

وصدق القائل :

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته

يوماً على آلة حدباء محمول

وإذا به قد ترك الأهل والأولاد ، والمال الذي شقي بجمعه ، وكان شديد

---

(١) الكهف : ٤٨ .

(٢) الأنعام : ٩٤ .

الحرص عليه ، ولربما كان يبخل به على نفسه وعلى عياله . لكنه بعد ذلك أصبح ملكاً للورثة :

وما المال والأهلون إلا وديعة ... ولابد يوماً أن ترد الودائعُ

ولما حضرت أبا بكر رضي الله عنه الوفاة ، كانت عائشة رضي الله عنها قائمة عند رأسه ، فنظرت إليه وإذا بروحه تحشرج[١] في صدره فتمثلت ببيت من الشعر وقالت :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حشرجت يوماً وضاق لها الصَّدرُ

فنظر إليها رضي الله عنه وقال : يابنيتي لا تقولي شعراً ، ولكن قولي :

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الموتِ بالحقِ ذلك ماكُنْتَ مِنهُ تَحِيد ﴾[٢] .

فرضي الله عنك ياأبا بكر وأنت في آخر رمق في الحياة[٣] ، وفي شدة الموت وسكراته متذكر لكتاب الله مستحضر لآياته ، كيف لا وهو يجري فيه مجرى الدم في العروق .

واعلم ياأخي أنه لو نجا إنسان من الموت لنجا منه سيد المرسلين وأشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ سيد الأولين والآخرين ، وحبيب رب العالمين .

قال الله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لبشرٍ من قبلِكَ الخُلْدَ أفَإنْ مِتَّ فهم ، الخالدون ﴾[٤] .

---

(١) تحشرج : أي : تتردد في صدره ولها صوت . يعني ـ تقرقع .
(٢) ق : ١٩ .
(٣) وانظر تمام الحوار في الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٩٦/٣) .
(٤) الأنبياء : ٣٤ .

وقال تعالى :

﴿ إنَّك ميتٌ وإنَّهم ميِّتُونَ ﴾[١] .

لقد مرض رسول الله ﷺ ثلاثة عشر يوماً وقيل سبعة أيام . وكان في بداية مرضه في بيت ميمونة زوجته رضي الله عنها . ولما اشتد مرضه استأذن زوجاته أن يُمَرَّضَ في بيت عائشة [٢] . فخرج يهادى بين العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها . وكان سبب مرضه من أثر الطعام الذي أكله بخيبر ، وكان مسموماً فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت :

كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه :

« ياعائشة ما أزال أجد ألَمَ الطعام الذي أكلت بخيبر وهذا أوان وجدت انقطاع أبْهريّ[٣] من ذلك السمّ »[٤] . ولما اشتد به وجعه أمر أن يهريق[٥] عليه الماء ، فصبوه عليه لما كان يشعر به من الحمى .

ويروى أنه لما دنت وفاته عليه الصلاة والسلام ، جاءه ملك الموت فقرع الباب فقال رسول الله ﷺ : من بالباب يافاطمة ؟ فقالت : زائر ياأبتاه . فقال : هل تعرفينه فقالت : لا . فقال : يافاطمة هذا هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات ، وميتم البنين والبنات ، فافتحي له الباب ، فسمعت صوته ولا تراه يقول : السلام عليكم ياأهل بيت النبوة والرسالة . فقال رسول الله ﷺ : وعليكم

---

(١) الزمر : ٣٠ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الهبة باب هبة الرجل (٢٠٧/٣) .

(٣) الأبهر : عرق مستبطن القلب متصل به فإذا انقطع لم تبق معه حياة النهاية (١٨/١) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه باب غزوة خيبر وباب الشاة التي سمت للنبي ﷺ (١٧٩/٥) . وانظر تمام القصة في سنن أبي داود كتاب الديات ، باب فيمن سقى رجلاً سماً . رقم/٤٤٨٩ .

(٥) يهريق : أي : يصب .

السلام ورحمة الله وبركاته ، ياأخي ياعزرائيل أجئتني زائراً أم قابضاً ؟ فقال : ما زرت أحداً قبلك ياحبيبي في دار الدنيا ، ولكن أمرت أن أكون بك شفيقاً وعليك رءوفاً ، فإن قلت اقبض قبضت ، وإن قلت ارجع رجعت . فقال رسول الله ﷺ : بالله عليك لا تقبض روحي حتى يأتي أخي جبريل أين تركته ؟ قال : في السماء يعزيه في روحك الملائكة . فما تم كلامه إلا والأمين جبريل قد نزل عليه قائلاً : يامحمد ربك يقرئك السلام ويقول لك : أنت رسوله ومصطفاه ، فإن شئت يؤخرك كما أخر نبيه نوحاً عليه السلام ؟ فقال : وما بعد ذلك ياجبريل ؟ قال : أن تلقى الله . فعند ذلك قال : ياعزرائيل اقبض روحي . فعالج عزرائيل روحه الشريفة ، حتى وصلت إلى ركبتيه فقال : مع الذين أنعم الله ، ولما وصلت إلى سرته ، قال : وأن مردنا إلى الله ، ولما وصلت إلى صدره ، قال : إنا لله ، ولما وصلت حلقومه ، قال : واكرباه ، فقالت فاطمة رضي الله عنها : واكرباه على كربك اليوم ياأبتاه ، فقال لها : ليس على أبيك كرب بعد اليوم يافاطمة . وكان عند رأسه قدح فيه ماء ، فكان يضع يده في الماء ويمسح جبينه ويقول : الرفيق الأعلى ، الرفيق الأعلى ، إن للموت سكرات . فلما مات ﷺ قالت فاطمة : ياأبتاه أجاب رباً دعاه ، ياأبتاه من جنة الفردوس مأواه ، ياأبتاه إلى جبريل ننعاه ، فلما دفن قالت : ياأنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب[1] ؟ .

ومات ﷺ في بيت عائشة وفي حجرها وهي منحنية عليه . حيث كانت تقول : مات رسول الله ﷺ بين[2] سَحْري ونَحْري[3] . ودفن في المكان الذي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عند قوله : واكرباه كتاب قيصر وكسرى وباب آخر ماتكلم النبي ﷺ (١٨/٦) .

(٢) السحر : الرئة . والنحر : الحلق .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه باب مرض النبي ﷺ (١٦/٦) .

مات فيه في بيت عائشة رضي الله عنها[١] .

فما ظنك ياأخي بعد الذي علمت من حال الرسول ﷺ عند موته ؟ كيف بنا نحن عند الموت ؟ نسأل الله تعالى أن يهون علينا سكرات الموت ، وأن يختم لنا بالسعادة إنه سميع مجيب .

ورد عن النبي ﷺ أنه قال : للموت أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف .

واعلم ياأخي أن المؤمن إذا احتضر يؤمر عزرائيل بقبض روحه فيأتيه بصورة حسنة طيبة الرائحة فيعالج روحه ويسلها من جسده كما تسل الشعرة من العجين . قال تعالى :

﴿ قل يتوفَّاكمْ مَلكُ الموت الذي وُكّل بكُم ثمَّ إلى رَبّكم تُرجَعُون ﴾[٢] .

وتحضره ملائكة الرحمة مع عزرائيل عليه السلام لأخذ الروح .

قال تعالى :

﴿ حتّى إذا جَاَء أَحدَكُم الموتُ توَفّتهُ رُسُلُنا وهم لايُفرّطُونَ ﴾[٣] .

وإذا حضر عنده الملائكة بشروه بالجنة ، وألّا يخاف مما هو قادم عليه ، ولايحزن على ماخلفه في الدنيا .

قال تعالى :

﴿ إنَّ الذينَ قالوا ربُّنا الله ثُمَّ استقَاموا تتنزلُ عليهمُ الملائكةُ ألَّا تَخافُوا ولا تَحْزَنُوا وأبشِرُوابالجنةِ التي كُنتم تُوعدون ﴾[٤] .

---

(١) راجع كتابنا سلوان الحزين في وفاة سيد المرسلين إن أردت المزيد .

(٢) السجدة : ١١ .

(٣) الأنعام : ٦١ .

(٤) فصلت : ٣٠ .

وإذا بشروه بالجنـة استبشر وفرح ، وأحب الموت . روى[١] مسلم عن عـائشـة رضي الله عنهـا قـالت : قـال رسـول الله ﷺ : « من أحب لقـاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قـالت : فقلت يـارسول الله إني لأكره الموت فكيف ؟ قال : « ليس كذلك يـاابنـة أبي قحـافـة . ولكن المؤمن إذا حضر وبشرته الملائكة بالجنة ، فإنه يحب أن يلقى الله ، ويحب الله لقاءه ، وأمـا الكافر إذا حضر وبشرته الملائكة بالعـذاب ، فـإنـه يكره لقـاء الله ويكره الله لقـاءه » . وروى[٢] النسـائي عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « إذا حضر المؤمن الموت أتتـه ملائكـة الرحمـة بحريرة بيضـاء فيقولـون : اخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبـان فتخرج كأطيب ريح المسـك ، حتى إنـه لينـاولـه بعضهم بعضـاً حتى يـأتوا بـه بـاب السماء فيقـولـون : ماأطيب هذه الريح التي جـاءتكم من الأرض ؟ فيـأتون بـه أرواح المؤمنين ، فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه ، فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ مـاذا فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه فإنه كان في غم الدنيـا ، فـإذا قـال لهم : فلان قـد مـات أتاكم ؟ قالوا : ذهب إلى أمه الهاوية ، وإن الكافر إذا حضر أتته ملائكـة العـذاب بمسح فيقـولـون : اخرجي سـاخطـة عليـكِ إلى عـذاب الله ، فتخرج كأنتن ريـح جيفة ، حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون : ماأنتن هذه الريح ؟ حتى يـأتوا بـه أرواح الكفار » . وهكذا يكون المؤمن فرحاً بالموت ، ومحباً للقاء ربه .

روي أنه لما حضرت بلالاً بن رباح الوفاة وكانت زوجته بـالقرب منـه تولول وتقـول : آه . فنظر إليهـا وقـال : لا تقـولي آه ، ولكن قـولي واطربــاه ، فكأني

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الـذكر والـدعـاء بـاب من أحب رقم /٢٦٨٤/ والبخـاري في صحيحـه كتاب الرقاق باب من أحب لقاء الله (١٣٢/٨) .

(٢) أخرجه النسائي كتاب الجنائز باب مايلقى به المؤمن من الكرامـة رقم ـ ١٨٣٤ ، وأخرجـه الحـاكم في المستدرك كتاب الجنائز والحديث صحيح ووافقه الذهبي (٣٥٣/١) .

الليلة في عرس ، غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه . فابكي على نفسك يامسكينة إن كنت باكية ، فإني بكيت لأجل هذا اليوم سنين طويلة . قال بعضهم :

أنت الذي ولدتك أمك باكياً
والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم تكون إذا بكوا
في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

ويحكى أن أحد الصالحين كان يمشي في الطريق إذ سلم عليه رجل لا يعرفه ، فقال له : أتعرفني ؟ قال : لا . قال : أنا ملك الموت . فقال له : مرحباً بمن طالت غيبته . فقال له ملك الموت : امض إلى حاجتك حتى تقضيها . فقال له : والله ليست لي حاجة إلا أن ألقى الله . فبالله عليك اقبض روحي فقبض روحه في الطريق . وإنما يكون المؤمن فرحاً بالموت لأنه مؤمن بالآخرة ومؤمن بالجزاء ، وقد عمل من أجل ذلك اليوم لينال جزاء ماعمل .

أرأيت لو أن عاملاً (شهرياً) يعمل ، ألا يحب نهاية الشهر لينال أجر ماعمل ؟ فكذلك المؤمن يكون فرحاً بالموت لأنه يقدم على من كان يعمل لأجله ليجزيه أجر ماعمل . والله لايضيع أجر من أحسن عملاً . وفي هذا يقول ربنا تبارك وتعالى :

﴿ وما الحياةُ الدُّنيا إلا لعبٌ ولهوٌ وللدَّار الآخرةُ خيرٌ للذين يتَّقونَ أفَلا تعقِلُون ﴾[1] .

وأما الكافر . فيأتيه عزرائيل عليه السلام في صورة مخيفة ، أسود الوجه نتن الثياب فيعالج روحه بشدة وعنف فيسلها من جسده كما ينتزع الحرير من الشوك ، أو الحسك من الصوف فيشخب عندها كما يشخب الحمار ، كما تأتيه

---

(١) الأنعام : ٣٢ .

ملائكـة العـذاب مع عزرائيل عليـه السلام فتبشره بـالـويـل والثبـور . وتضربـه بالسياط على وجهه ودبره ، وهم يقولون : اخرجي ساخطـة مسخوطـاً عليـك إلى غضب الله وعذابه .

قال الله تعالى :

﴿ ولَو تَرى إذ الظَّـالمونَ في غمرات الموتِ والملائِكَـةُ بـاسِطُو أيـديهم أخرِجُوا أنفسَكُم اليومَ تُجزونَ عَذابَ الهُونِ بما كنتم تقولونَ على اللهِ غَيرَ الحقِ وكنتم عن آياتِهِ تستكبرونَ ﴾[1] .

يعني باسطو أيديهم بالضرب . كما قال الله تعالى :

﴿ ولو تَرَى إذ يتوفَّى الـذين كفروا الملائكـةُ يَضرِبـونَ وجُـوهَهُم وأدبـارَهُم وذُوقُوا عذابَ الحرِيق ﴾[2] .

وقال أيضاً :

﴿ فكيفَ إذا تَوفَّتهُم الملائكةُ يضرِبونَ وجُوهَهم وأدبارَهم ﴾[3] .

يـروى أنه لما حضرت إبراهيم عليه السلام الوفـاة وجـاءه ملـك الموت ، طلب منه إبراهيم أن يريه الصورة التي يقبض فيها أرواح الكفار ، فقـال ملـك الموت : إنـك لاتستطيع رؤيتي ، فقـال لـه إبراهيم : بلى ، فقـال لـه : أعرض عني ، فلـما أعرض عنه قـال لـه : التفت إليّ ، فلـما رآه إبراهيم عليـه السلام فزع منـه وأغمي عليه من هول رؤيته ، فلما أفاق قـال لـه عزرائيل : كيف رأيتني ؟ فقـال لـه : والله يـاأخي يـاعزرائيل ، لـو لم يكن للكافر عـذاب إلا رؤيتـك لكانت كافيـة ،

---

(١) الأنعام : ٩٣ .

(٢) الأنفال : ٥٠ .

(٣) محمد : ٢٧ .

وهكذا تنكشف الحقيقة ويتضح الأمر لكل إنسان عند موته .

قال عليه الصلاة والسلام :

« الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا »[١]فعندما تنكشف الحقيقة للكافر والمنافق يقول رب ارجعون .

قال تعالى :

﴿ حتَّى إذا جاءَ أحَدَهُمَ الموتُ قال رَبِّ ارجعونِ * لعلّي أعملُ صالحاً فيا تركتُ كلاَّ إنها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يومِ يبعثونَ ﴾[٢] .

قال تعالى :

﴿ وأنفقُوا ممَّا رَزَقناكُم من قَبْل أن يأتي أحَدَكُم الموتُ فيقُولَ ربِّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصَّدقَ وأكنْ من الصَّالِحينَ ﴾[٣] .

وقال تعالى :

﴿ أن تَقُولَ نَفسٌ ياحسرتَى على مافرَّطتُ في جنبِ اللهِ وإنْ كُنتُ لمن السَّاخِرِينَ * أو تقولَ لو أنَّ الله هداني لكُنتُ من المتقينَ * أو تقولَ حينَ ترى العذابَ لو أن لي كرة فأكون من المحسنينَ * بلى قد جاءَتكَ آياتي فكذَّبتَ بها واستكبرتَ وكُنتَ مِنَ الكافِرينَ ﴾[٤] .

ولكن أنى له الرجوع . ولم ينفعه الندم على مافرط في الدنيا ، ولقد وعظه الموت ووعظته الحوادث فلم يتعظ ولم يتب ويرجع إلى الله ، فلا تغني عنه توبته

---

(١) هو من قول علي بن أبي طالب راجع كشف الخفا للعجلوني (٢/٣١٢) .

(٢) المؤمنون : ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٣) المنافقون : ١٠ .

(٤) الزمر : ٥٦ ـ ٥٩ .

ولا ندمه عند الموت شيئاً .

قال تعالى :

﴿ وليسَت التوبةُ للذينَ يعملونَ السيئاتِ حَتّى إذا حضرَ أحَدهُمُ الموتُ قال إنّي تُبتُ الآن ولا الذينَ يموتُون وهم كفارٌ أولئك أعتدنَا لهم عذاباً أليماً ﴾[1] .

واعلم ياأخي أنه إذا قبض عزرائيل عليه السلام روح العبد وتصارخوا عليه فإنه يقول : على من تصرخون ، وعلى من تبكون ، فوالله ماظلمت له أجلاً ، ولاأكلت له رزقاً بل دعاه ربه ، فليبك الباكي على نفسه ، فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا أبقي منكم أحداً ، وإن الميت إذا حمل على النعش فإنه ينادي : ياأهلي وياولدي لاتلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حله ومن غير حله ، ثم خلفته لغيري فالمال لكم والتبعة علي . فاحذروا مثل ماحل بي فإن كان الميت مؤمناً يقول عجلوني ، وإن كان كافراً أو فاسقاً يقول : ياويلها أين تذهبون بها .

فتنبه ياأخي من غفلتك ، واستيقظ ياأخي من رقادك ، واعتبر ياأخي بمن مات من أهلك وصحبك ، واعلم أنك عما قريب لاحق بهم وحال بك ماذكرته لك ، فالنجاة النجاة مما لابد لك منه ، ولا يغرنك طول الأمل ، فإن كل ماهو آت قريب ، وإن الله على ماتعمل رقيب ، وإن العمر مهما طال فإنه يمر وكأنه لحظة ، ففكر فيما مضى من عمرك تجده كأنه لحظة ، وهكذا ينتهي العمر . فقد قيل :

مـــــامضى فــــات والمــؤمــل غيب
ولــــك الســـاعــــة التي أنت فيهـــا

---

(١) النساء : ١٨ .

يروى أنه لما حضرتْ نوحاً عليه السلام الوفاة ، وقد عاش من العمر ألفاً وثلاثمائة سنة ، قال له عزرائيل عليه السلام : ياأطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا ؟ قال : والله ياأخي ياعزرائيل وجدتها كدارٍ لها بابان دخلت أحدهما وخرجت من الآخر ، فإن كان نوح عليه السلام الذي عاش من العمر ماعلمت يقول هكذا فما ظنك بنا نحن أمة محمد ﷺ وأعمارنا مابين الستين إلى السبعين وقليل منا من يتجاوز ذلك .

قال ﷺ « أعمار أمتي من الستين إلى السبعين وقليل من يتجاوز ذلك »[١] وقال عليه الصلاة والسلام : « معترك الأجل مابين الستين والسبعين » ولقد مات رسول الله ﷺ وله من العمر ثلاثٌ وستون سنة ومات أبو بكر وله من العمر ثلاثٌ وستون ومات عمر وله من العمر ثلاثٌ وستون . ومات علي وله من العمر ثلاثٌ وستون .

روى ذلك مسلم في صحيحه[٢] فإن بلغت هذا العمر فتجهز للسفر وتهيأ للرحيل ، ولا يغرنك الأمل حيث إن العبد كلما طال عمره بَعُدَ أمله وازداد حرصه على الدنيا كما قال عليه الصلاة والسلام : « إذا شاب العبد شاب معه خصلتان ، الحرص وطول الأمل »[٣] .فكن ياأخي للموت ذاكراً ولنفسك محاسباً ولربك طائعاً فإنك لاتدري متى يناديك المنادي وتستجيب لذلك النداء طائعاً أو مكرهاً .

ولاتظن أنه لايموت إلا المريض فكم مات من صحيح وكم عاش من سقيم . كما قيل :

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الدعوات باب في دعاء النبي ﷺ رقم / ٣٥٥٠ / وقال : حسن غريب .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب كم سن النبي ﷺ يوم قبض رقم / ٢٣٤٨ / .

(٣) أخرجه البخاري قريباً من لفظه ومعناه كتاب الرقاق باب من بلغ ستين سنة (٨ / ١١١) . وهكذا أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة رقم / ٢٤٥٥ / .

فكم من صحيح مات من غير علة
وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

في كل يوم نسمع أن فلاناً مات وهو يمشي ، وفلاناً مات وهو جالس ، وفلاناً مات وهو نائم ، فكن ملازماً لطاعة الله وليكن ذكر الله دوماً على لسانك ، حتى إذا جاءك الموت على أي حال وجدك على الإيمان وكنت من أهل السعادة .

قال البرعي :

وللمرء يوم ينقضي فيه عمره وموت وقبر ضيق فيه يولج

نسأل الله أن يميتنا على الإيمان وأن يختم لنا بخاتمة السعادة ، وأن يهون علينا سكرات الموت وشدته إنه سميع مجيب ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .

واعلم ياأخي أنه يسن لمن حضر الميت ألا يقول إلا خيراً : فقد روى الجماعة عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ماتقولون »[١].

وروى مسلم عنها قالت : « دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال[٢] : « إن الروح إذا قُبض تبعه البصر » فضجَّ ناس من أهله فقال : « لاتدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ماتقولون ، ثم قال : اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له في قبره ونورْ له فيه » .

كما يسن عند المحتضر قراءة سورة «يّس» وذلك لما رواه أحمد وأبو داود

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الجنائز باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت رقم / ٩٩٧ / وقال : حسن صحيح .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر رقم ٩٢٠ وأبو داود كتاب الجنائز باب تغميض الميت رقم / ٢ / ٣١ .

وغيرهما عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يسٓ قلب القرآن لايقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له واقرءوها على موتاكم »[١].

وروى صاحب مسند الفردوس عن أبي ذر وأبي الدرداء رضي الله عنهما : قالا : قال رسول الله ﷺ : « مامن ميت يموت فتقرأ عنده يسٓ إلا هون الله عليه » .

كما يسن تلقين المحتضر لا إله إلا الله وذلك لما رواه مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى أن النبي ﷺ قال : « لقنوا موتاكم لاإله إلا الله »[٢] وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « من كان آخر كلامه من الدنيا لاإله إلا الله دخل الجنة »[٣].

كما يكره أن يقال للمحتضر : قل لا إله إلا الله ، بل يُذكَّر بها تذكيراً كأن يجلس بالقرب منه ويقول : لا إله إلا الله رافعاً صوته حتى يسمع ليتذكر بها ، ويكره أن يلح عليه بها .

ولا يكون الملقن له وارثاً ولا ممن يشمت بموته خشية أن يجد الشيطان عليه سبيلاً فلا يقولها بل يوسوس له أن هذا إنما يقول لك ذلك استعجالاً لموتك ليرث

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦/٥) عن معقل بن يسار وأبو داود في كتاب الجنائز باب القراءة عند الميت رقم (٣١٠٥) .

وقال النووي في الأذكار : إسناده ضعيف ، ونقل ابن العربي عن الدراقطني أنه حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن وقال لايصح في الباب حديث . فيض القدير (٦٧/٢)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب تلقين الموتى : لا إله إلا الله . حديث رقم / ٩١٦ / , / ٩١٧ . والترمذي كتاب الجنائز باب ما جاء في تلقين الميت رقم / ٩٧٦ / وأبو داود كتاب الجنائز باب في تلقين ... رقم / ٣١١١٧ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز باب في التلقين ... رقم / ٣١٠٠ / .

مالك ، أو أن هذا يقول لك شامتاً بـك ، وإلا فـإنـك لاتموت . هـذا وإذا نطق بكلمة التوحيد ثم تكلم كلاماً بعدها فإنه يسن إعادتها لتكون آخر كلامه .

كما يسن توجيهه إلى القبلـة مضطجعـاً على شقـه الأيمن أو مستلقيـاً على ظهره ووجهه للقبلة ، فقد روي أن البراء بن معرور أوصى بـأن يوجـه إلى القبلـة عنـد موته فقال النبي ﷺ : أصاب الفطرة[١] .

وروى أحمد أن فاطمة بنت النبي ﷺ عند موتها استقبلت القبلـة ثم توسـدت يمينها ، وهذه الصفة التي أمر الرسول ﷺ النائم أن ينام عليهـا والتي يكون الميت عليها في قبره .

كما يسن تسجيتـه[٢] صيـانـة لـه عن الانكشـاف وستراً لصـورتـه المتغيرة عن الأعين ، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ حين توفي سُجي ببرد حِبَرة[٣] .

رواه البخاري ومسلم ، هذا ويجوز تقبيل الميت إجماعـاً ، فقـد ثبت أن رسول الله ﷺ قبـل عثمان بن مظعـون[٤] وهـو ميت ، وأكب أبـو بكر على رسـول الله ﷺ بعد موته ، فقبّله بين عينيه وقال : يانبياه يا صفياه .

وتسن المبادرة والإسراع بتجهيزه بعد تحقق موته .

فقد روى الإمام أحمـد والترمـذي عن علي بن أبي طـالب رضي الله عنـه : أن النبي ﷺ قـال : « يـا علي ثـلاث لاتـؤخرهـا : الصـلاة إذا أتت ، والجنـازة إذا

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الجنائز (٣٥٣) وقال صحيح وأقره الذهبي .

(٢) تسجيته : يعني تغطيته .

(٣) برد حبرة : بكسر أوله وفتح ثانية من التحبير وهو التزيين والمراد هنا : عصب العين . مقـدمـة فتح الباري (٩٩/١) .

والحديث أخرجه مسلم كتاب الجنائز باب تسجية الميت رقم (٩٤٢/٤٨) .

حِبَرة : بوزن عينه والجمع حِبر وحِبرات . النهاية (٣٢٨/١) .

(٤) رواه ابن ماجه كتاب الجنائز باب ما جاء في تقبيل الميت رقم (١٤٥٦) .

حضرت ، والأيم[١] إذا وجدت كفؤاً »[٢] وروى أبو داود عن الحصين بن وَحْوَح رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « لاينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله »[٣] .

هذا ويجب الإسراع بقضاء دين الميت ، وتأدية الحقوق عنه . فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه » . أي : أمرها موقوف لايحكم لها بنجاة ولا بهلاك ، أو محبوسة عن الجنة ، فعلى هذا فمن مات وترك مالاً يقضى منه دينه ، أما من لا مال له ومات عازماً على القضاء فقد ثبت أن الله يقضي عنه[٤] وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال :

« من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » [٥] وقد كان النبي ﷺ يمتنع عن الصلاة على المديون حتى نزل عليه قول الله تعالى :

﴿ النبيّ أولى بالمؤمنينَ مِنْ أنفسِهِم وأزواجُهُ أُمهاتُهم ﴾[٦]

فلمّا فتح الله عليه البلاد وكثرت الأموال صلى على المديون غيره . وقال عليه

---

(١) الأيم التي ليس لها زوج سواء كانت بكراً أم ثيباً .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الجنائز باب ماجاء في تعجيل الجنازة رقم ـ ١٠٧٥ وقال : حديث غريب . وما أرى إسناده بمتصل .

(٣) أخرجه أبو داود كتاب الجنائز باب التعجيل بالجنازة رقم ـ ٣١٤٣ وأوله : (إني لا أرى طلحة . .) . قال المنذري الحديث غريب ـ عون المعبود (٤٣٦/٨) .

(٤) وأخرجه الترمذي كتاب الجنائز باب ٧٦ والحديث رقم ١٠٧٩ وقال حسن . االجنائز باب برقم ٧٦ والحديث رقم ١٠٧٩ وقال حسن .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاستقراض باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها . (١٥٢/٣) .

(٦) الأحزاب : ٦ .

الصلاة والسلام : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلينا قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته » . رواه البخاري وغيره[١] .

هذا وإن العجب في هذا الزمن أنه يموت المدين وقد ترك من المال ما يسدد عنه دينه غير أن تكالب الورثة على المال وحبهم له يمنعهم عن تسديد الدين بذمة الميت خشية ألاً يبقى لهم ميراث ، أو أن يبقى لهم شيء قليل وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ وتَأْكُلُونَ التراثَ أكلاً لمّاً * وتُحِبونَ المالَ حباً جماً ﴾[٢] .

وإنك لتجدهم في الوقت نفسه يصرفون الأموال الطائلة في سبيل المآتم ـ التعازي ـ ليقدموها للناس طعاماً وقهوة ودخاناً وإنها لأمور ما أنزل الله بها من سلطان ، بل هي بدع محرمة ، وتكون أشد حرمة وأعظم جرماً إذا كان المال الذي يصرف في هذا السبيل من مال الميت وفي الورثة قاصرون ليسوا أهلاً للتصرف ، فإن الآكل منها كمن يأكل في بطنه ناراً كما أخبر الله تعالى في القرآن الكريم إذ يقول :

﴿ إنَّ الَّذينَ يأكُلونَ أموالَ اليتامى ظُلماً إنَّما يأكلونَ في بطونِهم ناراً وسيصْلَونَ سعيراً ﴾[٣] .

ولربما يكون جواب ولي الميت عندما يطالبه الدائن ذاك الميت اذهب وانبشه ـ ألا سمعت ذلك ياأخي من كثير من الناس ؟ إذاً خلص نفسك وأبرىء ذمتك وأنت في الحياة قبل أن يحول بينك وبينها ملك الموت . ويصبح مالك الذي شقيت من أجل الحصول عليه ملكاً لغيرك فتكون أنت رهين الدين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب باب الكفالة في القرض . باب الدين (١٢٨/٣) .

(٢) الفجر : ١٩ ، ٢٠ ، جماً : كثيراً .

(٣) النساء : ١٠ .

والحقوق ، والمال ينعم فيه الوارثون ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول :

أمـوالنـا لـذوي الميراث نجمعهـا ودورنـا لخراب الـدهر نبنيهـا
لا دار للمرء بعد الموت يسكنهـا إلا التي كان قبل المـوت بـانيهـا
فإن بنـاهـا بخير طـاب مسكنـه وإن بناها بشر خـاب من فيهـا

فسبحان من جعل حجاب الغفلة على القلوب ولولا ذلك لما التـذ أحـد بمطعم ولا بمشرب ولابمنكح فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال :

« لو تعلم البهائم من الموت مايعلم بنو آدم ، ما أكلتم منها سميناً »[١] فسبحـان الذي قهر العباد بالموت والفناء ، وسبحان الـدائم االـذي لا يموت . وإنـا لله وإنـا إليه راجعون .

* * *

(١) أخرجه البيهقي عن أم حبيبة . راجع الفتح الكبير (٤٢/٣) .

أحوال القبر

اعلم ياأخي وفقني الله وإياك أن الميت بعد أن يوضع في القبر وبعد انتهاء الدفن ، فإنه يفتن في قبره بسؤال الملكين منكر ونكير ، وإن الميت ليسمع خفق نعال المشيعين إذا تولوا عنه ، حيث يرد الله عليه روحه ، ويرد عليه من حواسه وعقله مايقدر به على فهم الخطاب ورد الجواب حين يسأله الملكان . فقد روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ماكنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً ويفتح له من قبره إليه . وأما الكافر أو المنافق فيقول : لاأدري ، كنت أقول كما تقول الناس فيقال لادَريت ولا تليت ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من يليه إلاّ الثقلين »[1] وإن معاودة الروح إلى الجسد في القبر وإحياء الميت فيه أمر لاندركه حيث إنه من الأمور الأخروية التي نعجز ويعجز العقل البشري عن كيفيتها والإحاطة بها . وإن وجب الإيمان بها حيث إنها كحياة الشهداء التي جاء بها القرآن الكريم ولورود النص الصحيح بذلك ، قال جلال الدين السيوطي :

وكله يحيا لدى الجمهور لاجزؤه لظاهر المأثور

واعلم ياأخي أن الملكين منكراً ونكيراً يأتيان الميت بصورة مفزعة ومخيفة ، روى الإمام أحمد في وصفهما : أنهما ملكان أسودان أزرقان ، شفة أحدهما السفلى ملقاة على صدره ، وأنيابهما تكاد تخط بالأرض ، في يد أحدهما سوط لو اجتمع الثقلان على أن يقلوه لما استطاعوا . وإنما يكونان في هذه الصورة وبهذه الصفة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب الميت يسمع خفق النعال (١٢٣/١١٣/٢) .

لأنها فتنة للعباد في القبر . فالمؤمن المتقي يثبته الله سبحانه وتعالى في رد الجواب ويربط على قلبه فلا يفزع منها ولا يخاف . وأما الكافر أو المنافق فإنه يفزع لرؤيتها ويخاف منها فلا يستطيع جواباً ويذهب فؤاده من الخوف .

قال الله تعالى :

﴿ يُثبِّتُ اللهُ الذين آمنوا بالقَولِ الثَّابت في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ ويضلُّ اللهُ الظالمينَ ويفعلُ اللهُ ما يشاء ﴾[١] .

روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه قال[٢] : « إن التثبيت بالقول الثابت في الآخرة هو جواب سؤال الملكين في القبر » قال عبد الرحيم البرعي :

وللمرء يـــوم ينقضي فيـــه عمره
ومــوت وقبر ضيــق فيـــه يــولــج
ويلقى نكيراً في الســــــؤال ومنكراً
يســومــان بــالتنكيــل من يتلجلــج

واعلم أن الميت إذا وضع في قبره وأهيل عليه التراب وسوِّي قبره ينزل عليه الملكان[٣] . فأما المؤمن فيأتيانه من قبل رجليه فتقوم الصلاة وتتكلم الرجلان باسم الصلاة فتقول : إليكم عنه فليس لكم من هاهنا سبيل ، لقد أطال القيام عليَّ لله عز وجل ، ثم يأتيانه من قبل رأسه فيقوم الصيام ويتكلم الفم باسم الصيام فيقول : إليكم عنه فليس لكم من ها هنا سبيل لقد أطال الظمأ والجوع لله عز

---

(١) إبراهيم : ٢٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب ماجاء في عذاب القبر (١٢٢/٢) وكتاب التفسير . . . إبراهيم (١٠٠/٦) .

(٣) راجع لفظه لطوله في كتاب الترغيب والترهيب (٣٧٢/٤) .

وجل ثم يـأتيـانـه من قبل اليمين فتقـوم الـزكاة وتقـول : إليكم عنـه فليس لكم من هاهنا سبيل ، وتتكلم اليدان بـاسم الزكاة وتقول لقـد أعطى بي الفقراء والمسـاكين ثم يأتيانـه من قبل الشمال فيقوم الحج والجهـاد أو أحـدهمـا ويتكلم الجسم فيقول : إليكم عنه فليس لكم من هاهنـا سبيل لقـد تحمل المشـاق والمتـاعب في سبيل الله ، فيوقظانه كما توقظ العروس في خدرها ، فإذا رآهما عرفهما ولم يفزع منهما فيسألانـه أو يقول أحدهما : من ربـك ؟ فيقول ربي الله . ثم يقولان مـادينـك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان : مـاتقول في الرجل الـذي بعث آخر الـزمن ؟ فيقـول : يعني محمداً ؟ فيقولان : نعم . فيقول : هو رسول الله ﷺ . فيقولان : قـد كنت تقول ذلك في الدنيا ، فطب نفساً وقر عينـاً ونم هنيـاً . ويفتح لـه في قبره بـاب إلى الجنة يرى منه منزلته ، ويوسع له فيـه مـد بصره ، وينور لـه فيـه ، ويفرش بالروح والريحان .

قال الله تعالى :

﴿ فأما إن كَانَ مِنَ المقرّبينَ * فرَوْحٌ وريحانٌ وجنَّةُ نَعِيمٍ ﴾[1] .

وروى مسلم وأحمـد وأصحـاب السنن إلا أبـا داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بـالغـداة والعشي إن كان من أهل الجنـة فمن أهـل الجنـة وإن كان من أهـل النـار فمن أهـل النـار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة »[2] .

وفي الخبر « من نوّر مساجد الله نور الله له في قبره » . وممـا أوحى الله تعـالى إلى موسى عليـه السـلام « تعلم الخير وعلمـه النـاس فـإني منـور لمتعلم العلم ومعلمـه قبـورهم حتى لايستـوحشـوا لمكانهم » وفي الحـديث الشريف : « القبر روضـة من

---

(١) الواقعة : ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت رقم (٢٨٦٦) .

رياض الجنة أو حفرة من حفر النار »[١] .

وأما الكافر أو المنافق فينزل عليه الملكان بالصورة التي علمت فيوقظانه بشدة وعنف حيث لاحراس عنده كالمؤمن فإذا رآهما فزع منها وذهل لرؤيتها ، فيقولان له :

من ربك ؟ فيقول : هاه لاأدري ، أو : هذا ويشير إلى أحدهما ، ويقول : هذا ، ثم يقولان له : مادينك ؟ فيقول : هاه لاأدري . فيقولان له : ماتقول في الرجل الذي بُعث آخر الزمن ـ يعنى محمداً ـ ؟ فيقول : لاأدري . فيقولان له : لا دريت ولا تليت فيضربانه بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة تسمعها الخلائق إلا الثقلين[٢] لو ضُرب بها جبل شامخ من جبال الدنيا لصار دكّاً ثم يفتح له باب إلى النار يرى منه مقعده .

قال الله تعالى حكاية عن آل فرعون :

﴿ النَّارُ يُعرضُونَ عليها غُدُوّاً وعَشَيّاً ويومَ تقومُ الساعةُ أدخِلوا آل فرعونَ أشدَّ العذابِ ﴾[٣] .

وقد تقدم حديث مسلم وأحمد وأصحاب السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما ـ كما تقدم قبل قليل ـ كما يضغطه القبر حتى تختلف أضلاعه ثم يشتعل القبر عليه ناراً . روى البخاري ومسلم[٤] عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « إن عذاب القبر حق وإنهم يعذبون في قبورهم عذاباً تسمعهم البهائم » .

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة رقم البارب / ٢٦ ورقم الحديث ٢٤٦٠ وقال حسن غريب وهو آخر فقرة من حديث طويل .

(٢) الثقلان : الجن والإنس .

(٣) غافر : ٤٦ .

(٤) الحديث أورده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٦١/٤) وعن ابن مسعود وقال : رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن .

وروى البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرّ رسول الله ﷺ على قبرين فقال : « إنهما يُعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لايستتر من بول »[١] كما يسلط عليه في قبره حيات تلدغه وتنهشه حتى يبعثه الله .

فقد روى ابن أبي شيبة وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيناً[٢] تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ، لو أن تنيناً منها نفخت في الأرض ماأنبتت خضراء »[٣] .

ويحكى أن جماعة كانوا في سفر فمات أحدهم فحفروا له قبراً فلما أرادوا أن يلحدوا له لحداً إذ ظهرت عليهم حيات كثيرة فتركوا القبر وحفروا غيره وعندما أرادوا أن يلحدوا له لحداً إذ ظهرت عليهم حيات كثيرة فتركوه وحفروا ثالثاً فكذلك ظهرت عليهم حيات فاحتاروا في أمرهم وذهبوا يسألون العلماء عما قد حدث لهم وكيف يصنعون فجاءوا إلى سفيان الثوري فسألوه عن أمرهم فقال : اذهبوا وادفنوه في أحد القبور التي حفرتموها فلو حفرتم له بقاع الأرض كلها لظهرت عليكم حيات . إن صاحبكم كان نماماً ولقد علمنا أن النمام يسلط عليه في قبره حيات .

ويحكى أنه مات أخ لرجل صالح يدعى جابراً وكان لجابر إخوان في الله فقال بعضهم لبعض : قوموا بنا إلى جابر نعزيه في أخيه ، فلما جاءوا إليه وعزوه فإذا به لايقبل تعزية وإذا به شديد الحزن والجزع فقالوا له : لماذا هذا الجزع وأنت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب الجريد على القبر (١٢٤/١١٩/٢) .

(٢) التنين : الحية العظيمة .

(٣) أورده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٦٢/٤) وقال رواه أحمد وأبو يعلى .

الرجل التقي العارف فقال لهم : والله إني لست حزيناً علي أخي ولكني حزين على مايصبح ويمسي عليه أخي من العذاب . فقالوا : سبحان الله وهل أطلعك الله على علم البرزخ(١) . فقال لهم : البارحة عندما مات أخي وشيعناه إلى قبره ونزلت في القبر لأضعه في اللحد وكان معي كيس فيه دنانير فسقط في القبر ولم أشعر وبعد أن رجعت إلى البيت فقدت الكيس الذي كان معي فعلمت أنه سقط في القبر ، فحملت المسحاة وذهبت إلى القبر فحفرته فوجدت الكيس قريباً من اللحد فأردت أن اطلع على حالة أخي فرفعت اللبنة التي عند رأسه وإذا بطوق من النار يشتعل في عنقه . فأخذتني شفقة الأخوة فمددت يدي لأنزع الطوق عنه فاحترقت يدي . فرددت اللبنة وسويت عليه التراب ورجعت إلى بيتي وهاهي ذي يدي فأخرج لنا يده وإذا بها سوداء محترقة فقال : هذا الذي يحزنني . قالوا فذهبنا إلى الحسن البصري فأخبرناه بذلك وقلنا : يموت الكافر ولا نرى شيئاً وهذا مسلم قد مات حدث به ذلك ؟ قال :

إن الكافر في النار ـ قطعاً ـ وأما المسلم فإن الله يريكم به ذلك لتعتبروا إن هذا كان مانعاً للزكاة ثم تلا قوله تعالى :

﴿ ولا يحسبنَّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شَرٌّ لهم سيُطوقونَ مابَخِلُوا به يوم القيامة ﴾(٢) .

واعلم ياأخي أن ضغطة القبر لاينجو منها أحد إلا الأنبياء والشهداء وفاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث نزل رسول الله ﷺ في قبرها ودعا لها فقال : « اللهم ارحم أمي فاطمة بنت أسد ووسع مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي » رواه الطبراني وغيره وإن ضغطة القبر بالنسبة للمؤمن

---

(١) البرزخ : الحاجز والحدّ بين الشيئين وقيل البرزخ : ما بين الموت إلى القيامة . المفردات للراغب صفحة (٤٣) .

(٢) آل عمران : ١٨٠ .

التقي كالأم الشفيقة تضم ولدها إذا كان يشكو صداعاً ، وأما العاصي ولو كان مؤمناً فقد يضغطه القبر حتى تختلف أضلاعه .

واعلم ياأخي أن عذاب القبر للروح والبدن ولايمنع ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحو ذلك فإن ذلك أمر ممكن عقلاً وقد ورد به الشرع وصحت بذلك النصوص فوجب اعتقاده وقبوله والله على كل شيء قدير .

واعلم أن عذاب القبر قسمان :

دائم : وهو عذاب الكفار والمنافقين وبعض العصاة .

ومنقطع : وهو عذاب من خفت جرائمه من العصاة فإنهم يعذبون بحسبها ثم يرفع عنهم العذاب ببركة دعاء من ولد صالح أو عمل آخر من أعمال البر التي خلفها في الدنيا كصدقة جارية أو علم ينتفع به .

روى مسلم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

فاعلم أن هذه أحوال القبر بالنسبة للأمور الغيبية التي لاندركها بحواسنا الدنيوية ، وإنما وردت إلينا بالدليل السمعي فوجب اعتقاده .

وإن قال قائل ، أو تساءل متسائل : كيف يكون العذاب على الروح والجسد معاً ، ونحن نرى الجسد بعد مرور الزمن الطويل قد يتحول إلى تراب وقد تنثر ذراته في بقاع الأرض وفي البر والبحر ؟ !

نقول : إن الله سبحانه وتعالى قد أقام الدليل على صدق ماأخبر به بما أوجد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الوصية باب مايلحق الإنسان من الثواب رقم ـ ١٦٣١ .

من وسائل وأسباب اكتشفها العلم الحديث والعلم التجريبي ، فالذي يصدقك فيما تعلم فلا تستطيع تكذيبه فيما لاتعلم .

ومثل الروح والجسد في نعيمها أو عذابها ، كمثل محطة إرسال تلفزيوني أو إذاعي تبث على موجة معينة ، وأن هناك ملايين الأجهزه اللاقطة لهذه الموجة التي تبث عليها تلك المحطة ألا تشاهد نفس الصورة وتسمع نفس الصوت في كل الأجهزة اللاقطة مهما تباعدت أو تعددت ؟ . وهكذا مثل الروح والجسد بالنسبة للعذاب أو النعيم . فالروح في مستقرها في علم الله ولها اتصال بالجسد كاتصال الأثير الذي لازال العلم يجهل حقيقته .

ومن الأدلة العقلية على صحة ذلك ، أحوال النائم ألا ترى أنه يدرك أحوالاً من السرور والغموم والآلام من نفسه كما يتفق أن يرى حية تلدغه أو آفة تجري خلفه فينزعج ويعرق ويتأذى بذلك كما يتأذى اليقظان ونحن بجواره لانشعر بشيء من ذلك ؛ فكذلك أحوال الميت حيث إنه انتقل من عالم الملك إلى عالم الملكوت وإن حواسنا لاتدرك الأمور الملكوتية وعقولنا تعجز عن إداراك حقيقتها .

واعلم ياأخي أنه يسن الوقوف على القبر بعد دفن الميت برهة من الزمن والدعاء له بالتثبيت عند سؤال الملكين والاستغفار له .

حيث يروى أنه لما مات سعد بن معاذ رضي الله عنه وشيع رسول الله ﷺ جنازته وكان يمشي علىَ أطراف أصابع قدميه ولما سُئل عن ذلك قال : لكثرة الملائكة .

لقد شهد جنازة سعد سبعون ألف ملك . ولما انتهوا من دفنه وهموا بالانصراف قال لهم الرسول ﷺ: « قفوا واستغفروا لأخيكم سعداً فإنه الآن يسأل » .

ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة أوصى بنيه وقال : قفوا عندقبري مقدار نحر جزور وتوزيع لحمها لأستأنس بكم عند سؤال الملكين .

فعلى هذا يستحب الوقوف بعد دفن الميت برهة من الزمن ، وأن يجلس واحد على القبر يلقنه بلغة يفهمها إن كان الميت بالغاً عاقلاً غير نبي ولاشهيد فيقول : يافلان ابن فلانة اذكر ماخرجت عليه من دار الدنيا وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، والبعث حق وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً والقرآن إماماً والكعبة قبلة والمؤمنين إخواناً . رواه الطبراني .

وإذا لم يعرف اسم أمه يدعوه يافلان بن حواء كما ورد ذلك عن رسول الله ﷺ وذكر أن الميت إذا لقن يأخذ أحد الملكين بيد صاحبه ويقول : مالنا ولرجل لقن حجته . وإنما يكون التلقين للمؤمن . وأما بالنسبة للكافر أو المنافق فلا ينفعه ذلك شيئاً حيث إنه لم يكن قبل الدنيا مؤمناً بذلك فلا ينفعه إيمانه بعد الموت ، وأما المؤمن فإنه مؤمن بهذا في الدنيا وقد مات عليه إلا أنه يذكر بما مات عليه تذكيراً نظراً لما مر عليه من شدة الموت ورؤية الملكين المخيفة . فهذا ماورد عن أحوال القبر بالنسبة للأمور الغيبية . أما الأمور التي نشاهدها ونحسها في الدنيا فإني أذكرك بها .

﴿ وَذَكِّر فإنَّ الذِّكرَى تَنفَعُ المؤمنينَ ﴾[1] .

﴿ سَيَذَّكَّرُ من يَخشَى * وَيَتَجنَّبُهَا الأشْقَى * الذي يصلَى النَّارَ الكُبرَى ﴾[2] .

---

(١) الذاريات : ٥٥ .

(٢) الأعلى : ١٠ ـ ١٢ .

لاشك أنك قد رأيت من آبائك وأقاربك وأصحابك من ماتوا فلم يحملوا معهم إلى قبورهم شيئاً من الدنيا التي كانوا حريصين عليها ، ولا من المال الذي تعبوا فيه وشقوا في سبيل جمعه ، لم يحملوا إلا أكفانهم وتبقى معهم أعمالهم التي عملوها في دار الدنيا . وروى الشيخان[١] والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ويبقى عمله » فماله يتبعه إلى مغتسله ، وأهله يتبعونه إلى قبره وعمله يبقى معه ثم يجزى به إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ ثم يصير إلى ذلك اللحد المظلم الضيق الموحش وإذ بذلك الوجه الحسن مُعَفَّرٌ بالتراب وإذا بذلك الجسم الحسن جيفة منتنة من أسوأ الجيف وإذا بالأحداق[٢] قد سالت على الخدود وأكل ذلك اللحم الدود فبقى عظاماً رميمة ، وإذا بتلك المحاسن قد ذهبت ولم يبق إلا منافذ الرأس في العظام كالأذن والأنف والفم ، ولعلك شاهدت ذلك فيمن كنت تعرفهم وإنك لصائر إلى ذلك وليس لك منه مهرب .

قال بعض الحكماء :

تفكر في مشيبك والمآب
ودفنك بعد عزك في التراب
إذا وافيت قبراً أنت فيه
تقيم به إلى يوم الحساب
وفي أوصال جسمك حين تبقى
مقطعة ممزقة الإهاب[٣]

---

(١) البخاري ومسلم في صحيحة كتاب الزهد رقم ٢٩٦٠ .
(٢) الأحداق : العيون .
(٣) الإهاب : الجلد .

فلـــولا القبر صـــــار عليــــــك ستراً
لنتنت الأبــــــــاطـــــــح والروابي
خلقت من التراب فصرت حيــــــــاً
وعلمت الفصيـــح من الخطـــــاب
وعـــــدت إلى التراب فصرت فيـــــه
كأنــــك مــــاخرجت من التراب
فطلــق هـــذه الــدنيــا ثــلاثــاً
وبــادر قبــل مــوتــك بــالمتــاب
نصحتــــك فــاستمــع قــولي ونصحي
فمثلـــــك لايـــــدل على صـــواب
خلقنـــــا للممات ولــــو تركنــــــا
لضــاق بنــا الفسيــح من الرحـــاب
ينــــادي في صبيحـــــة كل يـــوم
لـــــدوا للـــــدود وابنـــوا للخراب

يروى أنه ماطلعت شمس إلا وحفرة كل واحد تناديه : يـافلان ألا تعلم بـأني بيت الـدود وبيت الـوحشـة وبيت الظلمـة مفرق مـا بين الجمـاعـات وميتم البنين والبنات وإنك صائر إلي .

فهـذا المـوت مـوعـد كل حي　　　إن حـل بيتـاً فرق الأحبــاب

واعلم يـاأخي أن كل حُبٍّ منقطع بـالموت إلا مـاكان لله ألا ترى إلى الإنسـان إذا مـات وسلب الله تلـك الروح من ذلـك الجسـد كيف يستـوحش منـه أهلـه وأحبابه ويريدون الإسراع في تجهيزه ودفنه ثم بعد ذلك كأنـه لم يكن في الحيـاة ، قال عليه الصلاة والسلام : « عش ماشئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنـك

مفارقه ، واعمل ماشئت فإنك مجزي به » .

دخل سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه مقابر المدينة ونادى : يا أهل القبور : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تخبرونا بأخباركم أم نخبركم ، فسمع صوتاً يقول : عليك السلام ورحمة الله وبركاته ، أخبرنا بما كان بعدنا . فقال علي : أما أزواجكم فقد تزوجت ، وأما أموالكم فقد قسمت ، وأما الأولاد فقد حشروا في زمرة اليتامى ، وأما البناء الذي شيدتم فقد سكنه أعداؤكم ، فهذا أخبار ما عندنا فما أخبار ماعندكم ؟ فأجابه صوت من أحد القبور قائلاً : قد تخرقت الأكفان ، وانتثرت الشعور ، وتقطعت الجلود ، وسالت الأحداق على الخدود ، وسالت المناخير بالقيح والصديد ، ماقدمناه وجدناه ، وما خلفناه خسرناه ، ونحن مرتهنون بالأعمال . وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى : أتيت المقابر يوماً لأنظر في الموتى وأعتبر ، وأتفكر فيها وأنزجر فأنشدت أقول :

أتيت المقابر ناديتها — فأين المعظم والمفتخر ؟
وأين المدل بسلطانه — وأين العزيز إذا ماقدر ؟
وأين الملبي إذا مادعا — وأين المزكي إذا ماحضر ؟

وقال وإذا بصوت يجيبني :

تفانوا جميعاً فلا مخبر
وماتوا جميعاً وهذا الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى[1]
وتمحو محاسن تلك الصور
لقد قلد القوم أعمالهم
فإما نعيم وإما سقر

---

(١) بنات الثرى : يعني الأيام .

وصـــاروا إلى ملـــك قـــادرٍ
عــزيــز مطـــاع إذا مـــا أمر
فيـــا سـائلي عن أنـــاس مضـوا
أمـــالـــك فيمن مـضى معتبر

فـاعلم يـاأخي أن الميت في قبره بعـد مرور الـزمن عليـه يتحـول إلى تراب . ولاتبقى إلا أجساد الأنبياء والشهداء وحملة القرآن ، وقيل المؤذنون فـإن هؤلاء لا تبلى أجسادهم . وأما غيرهم فإن أجسادهم تبلى ولا يبقى إلا مـؤخرة العجز ـ وهي عظمة صغيرة بمقدار حبة العـدس ـ ينبت الجسم منهـا يوم البعث والنشور . فقـد روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن[1] ـ إلا الترمذي ـ عن أبي هريرة رضي الله عنـه أن النبي ﷺ قال : « ليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظم واحـد وهو عَجْبُ الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامـة » . ومـا هـذه الأرض التي تمشي عليهـا إلا ذرات بشر خلوا من قبلك وصدق من قال :

صـــاح هـــذه قبـورنـــا تمـلأ الرحب
فـــأين القبـور من عهـــد عـــاد
خفف الـوطء مـــا استطعت مـــاأظن
أديم الأرض إلا من هـــذه الأجســـاد

حكى القرطبي في التـذكرة : أن رجلين اختصما على أرض وكان بـالقرب منهما جـدار مبني من الطـوب ، فـأنطـق الله طـوبـة من ذلـك الجـدار فقـالت : عـلام تختصمان ؟ أتختصمان من أجل الـدنيـا ؟ إني كنت ملكاً من ملوك الـدنيـا ، وإني عشت من العمر كذا ، وتزوجت من النساء كذا ، وركبت من الخيل كـذا ، ولـما انتهى أجلي مت ثم صرت إلى الأرض وبقيت فيهـا ألف عـام فتحولت إلى تراب ،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن رقم ـ ٢٩٥٥ .

فجاء ضارب أوان وصنعني آنية يأكلون بها ، ثم انكسرت وعدت إلى الأرض ثانية وبقيت فيها كذلك ألف عام حتى تحولت إلى تراب ثانية ، فجاء ضارب الطوب فضربني طوبة وبناني في هذا الجدار . فمن أجل الدنيا تختصمان ؟ ! فتبارك الذي خلقنا من التراب ثم يعيدنا إليه ثم يخرجنا منه خلقاً آخر يوم القيامة وهو على كل شيء قدير . قال الله تعالى :

﴿ مِنْها خَلَقْنَاكُمْ وفيها نُعيدُكُمْ ومِنها نُخْرِجُكُمْ تارةً أُ خْرى ﴾[1] .

هذا وإن مما تجدر الإشارة إليه أن مايفعله الناس من وضع الميت في صندوق من غير عذر فإنه لايجوز ، حيث إنه إضاعة للمال بغير جدوى ، فلو أعطيت قيمة ذلك الصندوق للفقراء عن روح ذلك الميت لكان خيراً له وللأحياء الفقراء . وكذلك يحرم وضع شيء مع الميت من ثياب ونحوها حيث إنه إضاعة للمال وقد نهينا عن ذلك ، وإننا بأعمالنا هذه إنما نقلد غير المسلمين ، وقد نهينا عن تقليدهم وأمرنا بمخالفتهم ، إلا ماكان موافقاً لتعاليم ديننا . والأدهى من ذلك والأهم تلك القباب والأبنية المشيدة على القبور من الأسمنت والحديد والرخام ، والتي تكفي القبة الواحدة منها لبناء مسجد في إحدى القرى التي لا مساجد فيها ، أو تسد حاجة عدد كبير من الفقراء المعدومين ، فلو أنفق ذلك المال على أوجه الخير والبر أليس ذاك خيراً من أن يبنى على عظام بالية ؟ إلا أن هذا الأمر محرم من عدة وجوه :

أولها : أنه إضاعة للمال من غير فائدة تعود على الميت أو على الأحياء .

ثانيها : أن هذا العمل تصرف في أرض موقوفة لدفن الموتى لايحل التصرف فيها .

ثالثها : أن الناس لربما يغترون بصاحب تلك القبة والله أعلم بحاله .

---

(١) طه : ٥٥

رابعها : أن في بعض البلاد تكون هذه القباب مقراً للفساد والأعمال السيئة ، أو أنها بمثابة بيوت للخلاء تقضي الناس حاجتها فيها ، وهذا مما يحرم .

فبناء على ماتقدم يحرم البناء على القبور ، كما يحرم تجصيصها وذلك لما رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبعثك إلى ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ، قال : « اذهب فلا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مُشرفاً إلا سويته »[1] .

وروى أحمد ومسلم[2] وأصحاب السنن عن جابر رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ أن يُجصَّص القبر ، وأن يبنى عليه ، وأن يقعد عليه ، وأن يكتب عليه ، وأن يوطأ ، وتجوز كتابة اسم صاحب القبر عليه وتاريخ وفاته . وأما غير ذلك فلا . والله أعلم .

* * *

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر رقم ـ ٩٦٩ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز النهي عن تجصيص القبر رقم ـ ٩٨٠ .

أمارات الساعة

اعلم يا أخي وفقني الله وإياك أن هذه الحياة الدنيا ستنتهي وتنقرض ثم يأتي اليوم الأُخر الذي يجازى فيه العباد بأعمالهم ، ويصيرون فيه إما إلى جنة فيها نعيم مقيم ، أو إلى نار حامية يصلون فيها ، وستعلم حال الفريقين في هذا الكتاب عند ذكر الجنة والنار .

ومعلوم أن الإيمان باليوم الآخر هو شرط من شروط صحة الإيمان ، فمن لم يؤمن باليوم الآخر فهو كافر قطعاً ، فقد جاء ذكره في كثير من الآيات القرآنية ، فمنها ما هو تحذير منه ، ومنها ماهو بيان لبعض مشاهده وأحواله ومنها ما هو توكيد لوقوعه .

كما ذكر في القرآن بعدة أسماء كالقيامة ، والسّاعة ، والقارعة ، والغاشية ، والحاقة ، والطامة ، والصاخة ، والواقعة ، ويوم الحساب ، إلى غير ذلك من الأسماء .

قال تعالى :

﴿ وأنّ الساعةَ آتيةٌ لاريب فيها وأنّ اللهَ يَبعثُ مَنْ في القُبورِ ﴾[١] .

قال الله تعالى :

﴿ إنّ الساعةَ آتيةٌ أكادُ أُخفيها لِتُجزَى كلُّ نفسٍ بما تسعى * فلا يصُدّنّك عنها مَنْ لا يؤمن بها واتبع هواه فتَرْدَى ﴾[٢] .

فتعال معي ياأخي المسلم لنتابع النظر والتعرف على ذلك اليوم وأهواله ومراحل أحوالنا فيه ، وعرضنا على الله لعل ذلك يكون رادعاً لنا عن المعاصي

---

١) الحج : .

(٢) طه : ١٥ ـ ١٦ .

وحافزاً لنا على أعمال الطاعة والبر ، كيف لا وقد ظهرت أمارات الساعة في هذا الزمن فلا تخفى على بصير عرف علاماتها .

واعلم أن للساعة علامات صغرى وعلامات كبرى ، فالعلامات الصغرى هي التي تكون قرب الساعة ، وأما العلامات الكبرى فتكون بين يديها قريباً جداً منها .

فمن علاماتها الصغرى وهي كثيرة أذكر منها مايسر الله ذكره ، فمنها بعثة الرسول ﷺ وظهور أمته .

فقد روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « بُعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والتي تليها »[1] ومن أماراتها التطاول في البنيان ، وزخرفة المساجد ، وإضاعة الأمانة ، وكثرة الزنا ، وشرب الخمور ، واتخاذ القينات[2] ، وعدّ الخائن أميناً ، والأمين خائناً ، وتولية الأمور لغير أهلها ، وكثرة البدع ، وقلة الحياء من النساء ، ورفع العدل من الرجال . وكل هذه الأمور ظهرت في زماننا وكلها وردت فيها أحاديث صحيحة وإليك بعضاً منها .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد[3] » .رواه مسلم .

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة »[4] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب أيان مرساها .

(٢) القينات : المغنيات .

(٣) الحديث ليس في صحيح مسلم ولكن رواه الإمام أحمد ، راجع الفتح الكبير (٣٣٥/٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب رفع الأمانة .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فجلس إلى رسول الله ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع يديه على فخذيه ثم قال : يارسول الله أخبرني عن الإسلام ؟ فقال : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال : صدقت . قال عمر : فعجبنا له ! يسأله فيصدقه ثم قال : أخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره من الله ، ثم قال : أخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : أخبرني عن الساعة ، قال : ماالمسئول عنها بأعلم من السائل .

قال : أخبرني عن أماراتها قال : « أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان »[١] رواه مسلم .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء ، قيل : وما هن يارسول الله ؟ قال : « إذا كان المغنم دولاً ، والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرماً ، وأطاع الرجل زوجته وعقّ أمه ، وبر صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمور ولبس الحرير ، واتخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً أو مسخاً وقذْفاً »[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان رقم ـ ٥ .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الفتن رقم ـ ٢٢١٠ وقال غريب .

وروي أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام : ياأخي ياجبريل هل تنزل إلى الأرض بعدي ؟ قال : نعم ، آخر الزمن ، أنزل أربع مرات ، قال : وما تصنع فيهن ؟ قال : أنزل في المرة الأولى أرفع العدل من الحكام ، ثم أنزل في المرة الثانية أرفع البركة من الأرض ، ثم أنزل في المرة الثالثة أرفع الشفقة من قلوب الرجال ، ثم أنزل في المرة الرابعة أرفع الحياء من النساء .

وروى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، ويبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا » .

فانظر ياأخي أليست هذه الأمارات كلها موجودة في زماننا وكلها تحققت ، وبعض الأمارات الأخرى لقد ظهرت بوادرها كمقاتلة اليهود ، وأن يحسر الفرات عن جبل من ذهب[١] .

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلوهم فيختبىء اليهودي خلف الشجر والحجر فينادي الشجر والحجر : يامسلم ياعبد الله ورائي يهودي تعال فاقتله إلا شجر الغرقد فإنه ينسب لليهود »[٢] .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتقوم الساعة حتى يَحسِرَ الفُراتُ عن جبل من ذهب يقتتل عليه الناس فيقتل من كل مئة تسعة وتسعون ، فيقول كل رجل منهم لعلي أن أكون أنا الذي أنجو »[٣] فكل هذه الأمور ظهرت بوادرها .

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الفتن باب ماجاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم رقم ـ ٢١٩٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم ٢٩٢٢ .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الفتن باب لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات رقم ٢٨٩٤ .

ولو ذهبت أذكر لك كل ماورد من الأعمال التي ذكرها الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن آخر الزمان ، لطال بنا البحث ، وإني أحاول الإيجاز والاختصار قدر المستطاع لئلا يمل القارىء ، ويكبر حجم الكتاب ، ويخرج عن المقصود .

وأما العلامات الكبرى :

فأولها : خروج المهدي وهو من أبناء فاطمة رضي الله عنها يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

فقد روى أبو داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً مني ، أو قال من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً »[١] .

وروى أحمد وأبو داود والترمذي عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتذهب الدنيا ولاتنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي » .

وفي رواية : وخلقه خلقي . وروى أبو نعيم والروياني عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « المهدي رجل من ولدي لونه لون عربي وجسمه جسم إسرائيلي على خده الأيمن خال[٢] كأنه كوكب دري يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً ، يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السماء حتى الطيور في الجو »[٣] .

ثانيها : خروج الدجال وإنه لأكبر فتنة للناس ، حيث يقدره الله على

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الفتن باب ماجاء في المهدي رقم ٢٢٣٠ و ٢٢٣١ وقال حسن صحيح .

(٢) خال : يعني شامة .

(٣) أورده السيوطي في الجامع الصغير ولكن عند الترمذي حديث أوضح من هذا لفظاً وأقوى سنداً راجع كتاب الفتن باب رقم ـ ٥٣ ورقم الحديث ـ ٢٢٣٢ وقال حسن .

أمور خارقة للعادة ، بل تـدهش العقول يغتر بها كثير من النـاس إلا من سبقت له السعـادة ، كيف لا ونحن نرى من هو أقل شـأنـاً من الـدجـال بكثير يغتر بـه النـاس ، وتنطلي عليهم أكاذيبـه وتـدجيلـه ، كالفـال والتكهن وادعـاء علم الغيب ونحوه . فكيف والـدجـال يـأمر السماء فتمطر ، ويـأمرهـا فتمسـك ، ويـأمر الكلأ فينبت ، ويحيي الميت وتتبعه كنوز الأرض ، كل ذلـك فتنـة للنـاس واختبـار لهم في ثبـاتهم على العقيـدة الإسلاميـة ، فيثبت المؤمنون أمـام هـذه الأمور ، ويزيـغ الذين في قلوبهم مرض ، ويتبعون الدجال ويكونون جنداً معه . وإليك مـا ورد في شأنه من السنة الصحيحة وعن صفاته وأعماله .

روى البخـاري ومسلم عن أنس رضي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « مامن نبي إلا وقد أنـذر أمتـه الأعورَ الكـذاب ألا إنـه أعور وإن ربكم عزّ وجل ليس بأعور مكتوبٌ بين عينيه ك ف ر »[١] .

وروى البخـاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال مـا حـدث بـه نبي قومـه إنـه أعور وإنـه يجيء معه بمثال الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار »[٢] .

وروى البخـاري ومسلم عن رِبعيّ بن حِراش قـال : انطلقت مـع أبي مسعـود الأنصـاري إلى حـذيفـة بن اليمان رضي الله عنهم فقـال لـه أبـو مسعـود : حـدثني ماسمعت من رسول الله ﷺ في الدجال قـال : إن الـدجـال يخرج وإن معـه مـاءً وناراً فأما الذي يراه الناس مـاءً فنـارٌ تحرق ، وأمـا الـذي يراه النـاس نـاراً فمـاءٌ عـذب ، فمن أدركـه منكم فليقـع في الـذي يراه نـاراً فـإنـه عـذب طيب . فقـال أبو مسعود : وأنا قد سمعته[٣].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال رقم ـ ٢٩٣٣ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال رقم ـ ٢٩٣٦ .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الفتن باب ذكر الدجال رقم ـ ٢٩٣٤ .

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : « يأتي الدجال وهو مُحرَّمٌ عليه أن يدخل أنقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ فيخرج إليه رجل هو يومئذٍ خير الناس أو من خير الناس فيقول : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر ؟ فيقولون : لا فيقتله ثم يحيه فيقول حين يحييه : والله ماكنت قط أشد بصيرة مني اليوم ، فيقول الدجال : أقتله ؟ ولا يسلط عليه »[1] .

وثالثها : نزول عيسى عليه السلام على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، فينزل واضعاً حالة نزوله كفيه على أجنحة ملكين وقت صلاة الصبح ، فيدعوه الناس للصلاة بهم فيمتنع ويقول : إمامكم منكم ، فيتقدم المهدي فيصلي إماماً بهم وبه ، إكراماً لهذه الأمة ولنبيها عليه الصلاة والسلام فيطلب الدجال في باب لُدْ فيقتله ، وإليك النصوص الواردة في ذلك :

روى البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع[2] الجزية ويقبض المال حتى لايقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها . ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم [3] :

﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾[4] .

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتزال

(١) أخرجه مسلم كتاب الفتن باب صفة الدجال رقم ـ ٢٩٣٨ .

(٢) يضع الجزية أي : لا يقبل الجزية من أهل الكتاب كما هو الحكم في الإسلام .

(٣) النساء : ١٥٩ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم حاكماً رقم ـ ١٥٥ .

طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صلِّ لنا فيقول : لا . إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله تعالى هذه الأمة »[١] وإليك هذا الحديث الجامع لذكر الدجال ونزول عيسى وظهور يأجوج ومأجوج وغيره من أمارات الساعة الكبرى :

روى مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : ذكر لنا رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فرفع فيه وخفض حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا فقال : ماشأنكم ؟ قلنا : يارسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفَّضت فيه ورفَّعت حتى ظنناه في طائفة النخل . فقال : غيرُ الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حَجيجُه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فالمرء حجيجُ نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم . إنه شابٌ قطَطٌ[٢] عينه طافِئةٌ[٣] كأني أشبِّهه بعبد العُزَّى بن قَطَن فمن أدركه منكم فليقرأ فواتح سورة الكهف إنه خارجٌ خلةً[٤] بين الشام والعراق فعاثَ[٥] يميناً وعاث شمالاً ، ياعباد الله فاثبتوا قلنا : يارسول الله ومالَبْثه في الأرض ؟ قال : أربعون يوماً ، يوم كسنةٍ ، ويومٌ كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم هذه ، قلنا : يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم واحد ؟ قال : لا ، أقْدرُوا له قدره ، قلنا يارسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإمارة باب قوله ﷺ لا تزال طائفة من أمتي . . .) رقم ١٩٢٣ . .
وكتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم رقم ـ ١٦٥ .

(٢) شاب قطط : شديد جعودة الشعر . .

(٣) عينه طافية يعني ذهب نورها .

(٤) خلة : أي : طريقاً .

(٥) عاث أي : أفسده والعيث شدة الفساد .

فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارِحَتهم أطول ماكانت ذُراً[١] وأسبغه ضرُوعاً وأمده خواصر ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون مُحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخَربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعَاسيب[٢] النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين[٣] رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم ﷺ فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مَهرودَتين[٤] واضعاً ، كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدّر منهُ جمانٌ كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسهُ ينتهي إلى حيث ينتهي طرْفُه فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله ، ثم يأتي عيسى بن مريم قوماً قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم أني قد أخرجت عباداً لي لايَدان لأحد بقتلهم فحرِّزْ عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حَدَب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول : لقد كان بهذه مرة ماء ويُحصَرُ النبي عيسى ﷺ وأصحابه حتى يكون رأسُ الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغِبُ نبي الله عيسى ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فيرسل الله تعالى عليهم النَّغَف[٥] في رقابهم فيصبحون فرسى[٦] كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا

---

(١) ذراً يعني أسنمة .

(٢) يعاسبيب النحل يعني ذكرها .

(٣) جزلتين قطعتين .

(٤) مهرودتين : المهرودة الثوب المصبوغ .

(٥) النغف : دود يكون في أنوف الإبل وفي رؤوسها .

(٦) فرسى : جمع فريس يعني يموتون موتة واحدة .

ملأه زَهمهُم[١] ونَتنهم فيرغبُ نبيّ الله عيسى ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلى الله تعالى فيرسل الله تعالى طيراً كأعناق البُخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله عز وجل مطراً لايَكنُّ منه بيتُ مَدر ولا وَبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَقة[٢] ثم يقال للأرض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذٍ تأكل العِصابة من الرُّمانة ويستظلون بقحْفها ويبارك في الرسل[٣] حتى إن اللقحة من من الإبل لتكفي ألفاً من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله تعالى ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطِهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شِرارُ الناس يتهارجون[٤] فيها تهارج الحُمرِ فعليهم تقوم الساعة[٥] .

رابعها : خروج دابة الأرض قيل هي فصيل ناقة صالح عليه السلام لما عقرت أمها هربت وانفتح لها الحجر الذي خرجت منه ودخلت فيه وهذه الدابة لايدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، يراها كل أهل جهة في جهتهم وتكتب بين عيني المؤمن مؤمناً فيضيء وجهه وبين عيني الكافر كافراً فيسود وجهه وتنادي المسلم : يامسلم والكافر ياكافر . قال الله تعالى :

﴿ وإذا وقَعَ القولُ عَليهِم أخرَجْنا لهُم دابة مِنَ الأرضِ تُكلِّمهُم أنَّ الناس كانوا بآياتنا لايُوقِنونَ ﴾[٦] .

خامسها : طلوع الشمس من مغربها فيفزع الناس لذلك فيؤمنوا جميعاً ،

---

(١) زهمهم : دهن أجسامهم .

(٢) الزلقة : المرآة .

(٣) الرسل : اللبن ، واللقحة : اللبون .

(٤) يتناكحون كالبهائم أمام بعضهم البعض .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفة مامعه رقم ـ ٢٩٣٧ .

(٦) النمل : ٨٢ .

وعندها لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل . روى البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :[١] « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا جميعاً وذلك حين ﴿ **لا يَنفَعُ نَفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ أو كَسَبَت في إيمانِها خيراً** ﴾[٢] .

سادسها : خروج نار على أرض الحجاز فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى »[٣] وقيل إن هذه النار تخرج من مقر عدن تسوق الناس إلى الشام .

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ستخرج نار من حَضْرموت أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر الناس ، قالوا : يارسول الله فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام »[٤] .

ثم بعد ذلك يرفع القرآن من الصدور والسطور وترجع الناس كفاراً حتى إنهم ليعبدون الأصنام حيث إن النبي ﷺ قال : « لايذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى[٥] ويغزو جيش من الحبشة الكعبة فيقتلعها حجراً حجراً ويستخرج كنوزها من تحتها ، وعندها لا يبقى على وجه الأرض من يقول : لا إله إلا الله » كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ . فقد روى مسلم والترمذي واللفظ لمسلم

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان بيان الزمن الذي لايقبل فيه الإيمان رقم ـ ١٥٧ .

(٢) الأنعام : ١٥٨ .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الفتن باب لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز رقم ـ ٢٩٠٢ .

(٤) أخرجه الترمذي كتاب الفتن باب ماجاء لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من قِبل الحجاز رقم ـ ٢٢١٧ وقال حسن . حسن صحيح .

(٥) أخرجه مسلم كتاب الفتن باب لاتقوم الساعة . . رقم ٢٩٠٧ .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله »[١] .

هذا وإن الأرض لتأخذ زينتها قرب الساعة فتنفجر فيها الأنهار وتُشجَّر الأرض .

قال الله تعالى :

﴿ حَتَّى إذا أَخَذَتِ الأرضُ زُخْرَفَهَا وازَّيَّنَتْ وظَنَّ أَهلُهَا أنهم قادِرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فَجَعلناها حَصِيداً كأن لم تَغْنَ بالأمسِ ﴾[٢] .

وروى الترمذي أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى يكلم الرجلَ عذَبةُ[٣] سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده ، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً . وعند أحمد لاتقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لايخاف إلا ضلال الطريق »[٤] .

فعندما يكون الناس كما ذكرنا من الكفر ، وعبادة الأصنام ، وإتيان النساء في الطريق كالحمير ، كما مر من حديث مسلم ، وبلغت الأرض هذه الزينة ، وأعطى الله القدرة لأهلها عليها ، وتوصل العلم إلى ماذكرناه من تكليم السباع وعذبة السوط ونحوه عندها تقوم الساعة وينفخ في الصور .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب ذهاب الإيمان آخر الزمان رقم ١٤٨ .

(٢) يونس : ٢٤ .

(٣)عذبة سوطه : علاقته .

(٤) أخرجه الترمذي كتاب الفتن باب ماجاء في كلام السباع رقم ـ ٢١٨١ وقال حسن غريب . عن أبي سعيد الخدري .

النفخ في الصور

النفخة الأولى :

اعلم يـاأخي أن الصور قرن عظيم يروى أن دائرتـه سعـة السماوات والأرض ، موكل به إسرافيل عليه السلام ، فإذا أراد الله القضاء على المخلوقات بالموت ونهايـة الدنيا يـأمر الله إسرافيل عليـه السلام بـالنفخ فينفخ فتموت الخلائق جميعـاً إلا من شـاءِ الله وهم : جبريل ، وميكائيل وإسرافيل ، وعزرائيل ، وحملـة العرش ، ومن في الجنة من الحور والولدان ومالك خازن النار .

قال الله تعالى :

﴿ ونُفِخَ في الصـور فصَعِـقَ من في السمـوات ومن في الأَرض إلا مَنْ شـاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخرى فإذا هُمْ قِيامٌ يَنظُرونَ ﴾[1] .

وإن إسرافيـل عليـه السـلام منـذ خلقـه الله تعـالى ملتقم القرن منتظر الأمر بالنفخ .

فقد روى الترمذي [2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن وحنى جبهته واضعاً سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ » .

فكأن ذلك ثقل على أصحـابـه رضي الله عنهم . فقـالوا : كيف نفعل أو كيف نقول : ؟ قال : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، توكلنا على الله » وربمـا قـال : « على الله توكلنا » .

---

(١) الزمر : ٦٨ .

(٢) كتاب صفة القيامة باب ماجاء في شأن الصور رقم ـ ٢٤٣١ وقال : حسن .

وروى أبو داود والترمذي[١] عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :

سُئِل رسول الله ﷺ عن الصور ، قال :

قَرنٌ ينفخ فيه فإذا أمر إسرافيل بالنفخ ونفخ عندها تزلزل الأرض وتذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

قال الله تعالى :

﴿ ياأيُّها الناسُ اتقوا ربَّكم إن زلزَلَة الساعةِ شيءٌ عظيمٌ * يومَ ترونَها تذهَلُ كلُّ مرضعةٍ عما أرضعت وتضعُ كلُّ ذات حَملٍ حَمْلها وترى النَّاسَ سُكارى وما هم بسكارى ولكنَّ عذابَ اللهِ شديدٌ ﴾[٢] .

وهكذا فإن من شدة الفزع والهول تنسى الأم ولدها ، وتسقط الحوامل مافي بطونهن من الأجنة ، وترى الناس مذهولين كأنهم سكارى من الخوف ثم يصعقون[٣] ، وإن أول من يصعق من الخلائق رجل يطين حوض إبله فيصعق هو وإبله ثم يصعق الخلائق جميعاً .

روى مسلم[٤] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال ، قال : رسول الله ﷺ : « يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين ـ لاأدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً ـ فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم ﷺ كأنه عروة ابن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشّام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في

---

(١) كتاب صفة القيامة باب ماجاءفي شأن الصور رقم ـ ٢٤٣٠ وقال : حسن .

(٢) الحج : ١ ، ٢ .

(٣) يصعقون : يموتون .

(٤) كتاب الفتن باب في خروج الدجال رقم ـ ٢٩٤٠ .

قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع[١] لايعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول :

ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌ رزقهم ، حسن عيشهم ، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتاً[٢] ورفع ليتاً وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس حوله ثم يرسل الله ـ أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطلٌ أو الظل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يُقال :

ياأيها الناس هَلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال :

مِنْ كم ؟

فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال : فذلك يومَ يجعل الولدان شيباً . وذلك يوم يُكشَفُ عن ساق .

واعلم أنه إذا نفخ في الصور وصعقت الخلائق ولم يبق إلا من شاء الله وهم : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل عليهم السلام ، فإن الله يأمر ملك الموت عزرائيل عليه السلام بقبض أرواحهم فيقبض روح جبريل وميكائيل وإسرافيل ، ثم يأمره تعالى بمعالجة روح نفسه ويصيح ويقول : لو كنت أعلم أن الموت هكذا لكنت رءوفاً بالمؤمنين ، فعندها تبقى السموات والأرض خالية من الخلق ولم يبق إلا الله سبحانه وتعالى ثم ينادي الله سبحانه وتعالى : ﴿ **لمن**

---

(١) أي : يكونون في سرعتهم إلى الشر والفساد وقضاء الشهوة كطيران الطير وفي العدو خلف بعضهم البعض كأحلام السباع العادية .

(٢) ليتاً : الليت صفحة العنق وهي جانبه .

الملكُ اليومَ ﴾ فلايجيبه أحد ثم يجيب نفسه ويقول : ﴿ **لله الواحِد القهارِ** ﴾ .

قال الله تعالى :

﴿ **يومَ هم بارزون لا يَخفى على اللهِ منهم شىءٌ لمن الملكُ اليومَ لله الواحِد القهار** ﴾[١] .

وهكذا تبقى السموات خالية من الملائكة ، والأرض خالية من الخلق ، فلا إنس ولا جن ولا وحش ولا طير ، وكل ما في الدنيا من مبان وزينة ومتاع وزخرفة يبقى كما هو حتى يبلى بمرور الزمن عليه .

﴿ **ولله ميراثُ السمواتِ والأرضِ** ﴾[٢] .

وهو مالك الملك فسبحانه .

﴿ **كلُّ شىءٍ هالكٌ إلا وَجهَهُ لهُ الحُكمُ وإليه تُرْجَعُونَ** ﴾[٣] .

ويروى أنها تبقى هكذا خالية أربعين عاماً ثم يحي الله بعد ذلك إسرافيل عليه السلام فينفخ النفخة الثانية التي هي نفخة البعث والنشور .

النفخة الثانية :

اعلم ياأخي أن يوم القيامة يبدأ من النفخة الثانية وهي نفخة البعث وهو اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة .

قال الله تعالى :

---

(١) غافر : ١٦ .

(٢) الحديد : ١٠ .

(٣) القصص : ٨٨ .

﴿ تَعرجُ الملائكةُ والروحُ إليهِ في يومٍ كانَ مِقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنـةٍ * فـاصبرْ صبراً جميلاً * إنهم يروْنه بعيداً * ونراه قريباً ﴾[(١)] .

وإذا أراد الله بعث النـاس من قبـورهم أحيـا إسرافيـل وجبريـل وميكائيـل وعزرائيل عليهم السلام ، ويأمر إسرافيل أن ينفخ النفخة الثانيـة فتبعث الخلائق أجمع منـذ خلـق الله الـدنيـا إلى قيـام السـاعـة إنسهـا ، وجنهـا ، وحيـوانـاتهـا ، وطيورها ، وأن أول من يبعث من الأرض هو سيدنا محمد ﷺ ، ويأتيـه جبريل عليـه السلام بلـواء الحمـد فيبعث من قبره ينفض التراب عن لحيتـه وهـو يقـول : ياأخي ياجبريل ما فعل الله بـأمتي ؟ فيقول لـه جبريل عليـه السلام : لم يبعث أحد قبلك فأنت أول من بعث .

وقال الله تعالى :

﴿ يومَ يسمعونَ الصيحةَ بالحقِّ ذلك يومُ الخروجِ ﴾[(٢)] .

وقال الله تعالى :

﴿ يـومَ يـدعُ الـداعِ إلى شيء نُكُر * خُشعـاً أبصـارهم يخرجـونَ من الأجـداثِ كأنهم جرادٌ مُنتشر * مهطعينَ إلى الداعِ يقولُ الكافرونَ هذا يومٌ عسرٌ ﴾[(٣)] .

وقال الله تعالى :

﴿ وَنُفِـخَ في الصـورِ فـإذا هُمْ من الأجـدَاثِ إلى ربِّهم يَنْسِلـونَ * قـالـوا ياويلنامن بَعَثَنَا مِنْ مرقَدِنا هذا ماوَعَدَ الرحمنُ وصدقَ المرسلون ﴾[(٤)] .

---

(١) المعارج : ٤ ـ ٧ .

(٢) ق : ٤٢. .

(٣) القمر : ٦ ـ ٨. .

(٤) يٓس : ٥١ ، ٥٢ .

وقال الله تعالى :

﴿ يومَ يخرجونَ مِن الأجداثِ[١] سِراعاً كأنَّهُم إلى نُصبٍ يوفضونَ * خاشعةً أبصارهُم ترهَقَهُمْ ذِلةٌ ذلك اليومُ الذي كانوا يُوعدون ﴾[٢] .

واعلم أنه إذا أراد الله بعث الخلائق وحشرهم أرسل ريحاً شديدة فحملت ذرات أجسامهم في الجو وجمعتها من البر والبحر حتى تكون مثل السحاب وتجتمع ذرات كل جسد فوق قبره فتنزل بشكل مطر ويتكون منه الإنسان بل وكل مخلوق .

قال الله تعالى :

﴿ واللهُ الذي أرسلَ الرياحَ فتثيرُ سَحاباً فسُقناه إلى بلد مَيِّت فأحيينا به الأرض بعدَ موتها كذلك النشور ﴾[٣] .

روى البخاري ومسلم[٤] وأصحاب السنن إلا الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مابين النفختين أربعون . قيل أربعون يوماً » قال أبو هريرة : أبَيْت . قيل : أربعون شهراً ؟ قال أبو هريرة : أبيت . قيل : أربعون سنة ؟ قال أبيت . ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عَجْبُ الذنب ومنه يركبُ الخلقُ يوم القيامة .

ويروى أن ذلك التجمع ونزول المطر الذي يشبه مني الرجال يبقى أربعين يوماً ثم تتكون منه الأجساد . ولقد شاهد إبراهيم عليه السلام ذلك عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى فقال له ربه : أو لم تؤمن ؟ قال بلى ولكن

---

(١) المعارج : ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) الأجداث : القبور .

(٣) فاطر : ٩ .

(٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب مابين النفختين رقم ـ ٢٩٥٥ .

ليطمئن قلبي . فإبراهيم عليه السلام مؤمن بأن الله يحيي الموتى غير أنه يريد أن يرى كيف يجمع ذرات الجسد الميت بعد أن يتحول إلى تراب وتنشره الريح في البر والبحر والمشرق والمغرب .

ويروى أن سبب سؤال إبراهيم عليه السلام عن ذلك أنه كان يمشي على ساحل فرأى جثة حمار على شاطىء البحر إن ساح عليه البحر تأكل منه الحيتان وإن حسر عنه البحر ظهر إلى البر وأكلت منه الطيور والوحوش فعندها قال : يارب كيف تجمعه من بطون الحيتان في لجج البحار ومن حواصل الطيور والوحوش . فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة طيور مختلفة الأجناس . قيل : إنه أخذ طاووساً وديكاً وغراباً وحمامة فيذبحهن ويبقي رءوسهن عنده ثم يمزجن بعضهن ببعض حتى يصبحن كتلة لحم ممزوجة وأن يضع على كل جبل من الجبال المحيطة به قطعة من ذلك اللحم المزيج ، وكانت أربعة جبال وقيل سبعة ثم يدعوهن إليه قائلاً تعالي بإذن الله ، ففعل فانتشرت تلك القطع من اللحم في الجو وتجمعت ذرات كل طير حتى تكونت أجسامهن وجاءت إليه ترف بأجنحتها من غير رءوس حتى وصلت إلى رءوسها عنده فالتحمت وإذا بها حية كما كانت قبل ذبحها ومزجها . فقال الله : اعلم أن الله عزيز حكيم . عزيز في خلقه ، حكيم في صنعه .

قال الله تعالى :

﴿ وإذْ قَاَل إبراهيمُ ربِّ أرنِي كيفَ تحيي الموتى قالَ أو لمْ تؤمِن قالَ بلى ولكن ليطمئنَّ قَلبي قَالَ فَخُذْ أربعةً منَ الطيرِ فَصرْهُنَّ إليكَ ثم اجعل على كلِ جبل منهنَّ جزءاً ثمَّ ادعهنَّ يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيزٌ حكيم ﴾[1] .

واعلم أنه بعد أن يجمع الله أجساد المخلوقات ويكونها ، قال الله تعالى :

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .

﴿ أينما تكونُوا يَأْتِ بِكم اللهُ جميعاً ﴾[١] .

وينشئها نشأة أخرى لانعلم كيف تكون حيث يقول تعالى :

﴿ وننشئكم فيما لاتَعلَمُونَ * وَلَقدْ علمتُم النشأةَ الأولى فلولا تذكرونَ ﴾[٢] .

حيث يعطينا من الحواس مانستطيع أن نرى بها الملائكة والجن ونرى بها ربنا وأموراً أخرى . وستعلم صفة أهل الجنة وصفة أهل النار في هذا الكتاب . ويؤمر إسرافيل عليه السلام بالنفخ فينفخ وتبعث الخلائق كما علمت وتكون كالجراد المنتشر كما جاء في القرآن الكريم وقد تقدم يكون الناس كالفراش المبثوث .

قال الله تعالى :

﴿ يومَ يكونُ الناسُ كالفراش المبثوثِ ﴾[٣] .

ونبعث من قبورنا حفاة عراة غرلاً بُهماً .

روى البخاري ومسلم [٤] وغيرهما عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ملاقو الله مشاة حفاة عُراة غُرْلاً » . يعني غير مختونين .

واعلم ياأخي أن ذلك اليوم يوم شديد الهول والمخاوف .

قال الله تعالى :

﴿ فإذا نُقرَ في النَّاقُورِ * فذلكَ يومئذ يومٌ عسير * على الكافرين غيرُ يسير ﴾[٥] .

---

(١) البقرة : ١٤٨ .

(٢) الواقعة : ٦١ ، ٦٢ .

(٣) القارعة : ٤ .

(٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب فناء الدنيا رقم ـ ٢٨٦٠ .

(٥) المدثر : ٨ ـ ١٠ .

وقال الله تعالى :

﴿ يومَ تَرجُفُ الراجِفةُ * تَتْبَعُهاالرادِفَةُ * قلوبٌ يومئـذٍ واجفة * أبصارُها خاشعة ﴾[٤] .

كيف لا وهو اليوم الـذي تطوى فيـه السماء ، وترجف فيـه الأرض ، وترج ، وتدكدك فيه الجبال و تتناثر فيه الكواكب .

قال الله تعالى :

﴿ فإذا نُفِخَ في الصورِ نَفخَةٌ واحِدةٌ * وحُمِلَت الأرضُ والجِبَالُ فَدُكّتَا دَكةً واحدة * فيومئذٍ وَقَعَت الواقِعة * وانْشَقَتْ السّماءُ فهي يَوْمَئـذٍ واهيـةٌ * والملـكُ على أَرْجَائِها ويحمل عرشَ رَبِّكَ فوقهمْ يومئـذٍ ثمانيـةٌ * يومئـذٍ تُعرضـون لا تخفَى منكم خافية ﴾ [٢] .

وهكذا ياأخي فإن كل ماتشاهـده في الكون المحيـط بـك فـإنـه سيـذهب يوم القيـامــة إلى حيث شـاء الله وتظهر لــك الآخرة وتبرز الجنــة والنــار ، وعرش الرحمن . وإليك بعض النصوص الواردة في القرآن الكريم عن ذلك ونقـدم بعضهـا ولنبدأ بالأجرام السماوية .

أولاً السماء : قال الله تعالى :

﴿ يومَ نَطوي السماءَ كطيّ السّجلّ للكُتُبِ كما بَدأْنا أوّل خلقٍ نُعيدُه وَعْداً علينا إنّا كُنا فاعلين ﴾[٢] .

وقال الله تعالى :

---

(١) النازعات : ٦ ـ ٩ .

(٢) الحاقة : ١٣ ـ ١٨ .

(٣) الأنبياء : ١٠٤ .

﴿ إذا السّماءُ انْشقّت ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ إذا السّماءُ انفطَرَت ﴾[٢] .

قال الله تعالى :

﴿ فإذا انشقّت السماءُ فكانت وردة كالدّهان ﴾[٣] .

ثانياً : الشمس والقمر : قال الله تعالى :

﴿ فـــإذا بَرِقَ البصرُ * وخَسَفَ القَمَرُ * وجُمِـعَ الشَّمْسُ والقمرُ * يقــولُ الإنسان يومئذٍ أينَ المفرُّ ﴾[٤] .

قال الله تعالى :

﴿ إذا الشمسُ كُوِّرت ﴾[٥] .

ثالثاً : النجوم والكواكب : قال الله تعالى :

﴿ وإذا النجومُ انكدرتْ ﴾[٦] .

قال الله تعالى :

﴿ وإذا الكواكبُ انتثَرت ﴾[٧] .

---

(١) الانشقاق : ١ .
(٢) الانفطار : ١ .
(٣) الرحمن : ٣٧ .
(٤) القيامة : ٧ ـ ١٣ .
(٥) التكوير : ١ .
(٦) التكوير : ٢ .
(٧) الانفطار : ٢ .

قال الله تعالى :

﴿ فإذا النجومُ طُمِسَت ﴾[١] .

وهكذا تذهب السموات وما فيها .

وأما بالنسبة للأرض والجبال والبحار فإنها كذلك تذهب وإليك النصوص الواردة من القرآن والسنة الصحيحة :

قال الله تعالى :

﴿ إذا رُجّت الأرضُ رجّاً * وبُسّت الجبالُ بسّاً * فكانت هَباءً مُنْبثّاً ﴾[٢] .

وقال الله تعالى :

﴿ يومَ تَرجُفُ الأرضُ والجِبالُ وكانت الجِبالُ كثيباً مهيلاً ﴾[٣] .

وقال الله تعالى :

﴿ وتكونُ الجبالُ كالعهنِ المنفُوشِ ﴾[٤] .

وإن الأرض والجبال بعد هذه الحالات تزول وتذهب .

قال الله تعالى :

﴿ يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسَّمَواتُ وَبَرزُوا للهِ الواحِدِ القهّارِ ﴾[٥] .

وقال الله تعالى :

---

(١) المرسلات : ٨ .

(٢) الواقعة : ٤ ـ ٦

(٣) المزمل : ١٤ .

(٤) القارعة : ٥ .

(٥) إبراهيم : ٤٨ .

﴿ ويسألُونَكَ عن الجِبالِ فقُل يَنسِفُها رَبِّي نَسفاً * فَيَذرُها قاعاً صَفْصَفاً * لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً ﴾[١] .

وأما البحار فتتجمع وتتفجر كالبراكين .

قال الله تعالى :

﴿ وإذا البِحارُ سُجِّرَت ﴾[٢] .

قال الله تعالى :

﴿ وإذا البحارُ فجِّرت ﴾[٣] .

فهذا ياأخي كل ما تشاهده في الدنيا . وهذا هو الكون الذي تعيش فيه حياتك الدنيا والذي خلقه الله من أجلك وسخره لك .

قال الله تعالى :

﴿ وسَخَّرَ لكُم مافي السَّمَوَاتِ وما في الأرضِ جَمِيعاً منه إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يَتَفَكَّرون ﴾[٤] .

فإنه يذهب كما علمت وتبقى الناس تجازى بأعمالها .

قال الله تعالى :

﴿ إنَّا جَعَلْنَا ما على الأرضِ زينةً لها لِنَبْلُوهُم أيُّهم أحسنُ عَملاً * وإنا لجَاعِلونَ ما عليها صَعِيداً جُرُزاً ﴾[٥] .

---

(١) طه : ١٠٥ ـ ١٠٧ .
(٢) التكوير : ٦ .
(٣) الانفطار : ٣ .
(٤) الجاثية : ١٣ .
(٥) الكهف : ٧ ، ٨ .

الحشر

اعلم ياأخي أنه بعد أن يبعث الله الخلائق من الأرض ، وتقوم الناس من قبورهم ، فإنهم يساقون إلى أرض الحشر .

قال الله تعالى :

﴿ ونُفِخَ في الصورِ ذلكَ يومُ الوعيد * وجاءَتْ كُلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ * لقد كُنْتَ في غفلةٍ من هذا فكشَفْنا عَنكَ غِطاءَكَ فَبصَرُكَ اليومَ حديدٌ ﴾[1] .

وقال الله تعالى :

﴿ ذلكَ يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلكَ يومٌ مشهود ﴾[2] .

وقال أيضاً :

﴿ يومَ يَجْمعُكم ليومِ الجمعِ ذلكَ يومُ التَّغابن ﴾[3] .

وقال سبحانه :

﴿ ليجْمعنَّكم إلى يوم القيامةِ لاريبَ فيه ﴾[4] .

وقال الله تعالى :

﴿ هذا يومُ الفصل جَمعنَاكُم والأولين ﴾[5] .

وكما أنه يحشر البشر فكذلك تحشر الحيوانات .

---

(١) ق : ٢٠ ـ ٢٢ .

(٢) هود : ١٠٣ .

(٣) التغابن : ٩ .

(٤) الأنعام : ١٢ .

(٥) المرسلات : ٣٨ .

قال الله تعالى :

﴿ وإذا الوحُوش حُشِرت ﴾[١] .

وهكذا تساق الخلائق إلى أرض المحشر ، وهم في ذلك متفاوتون على قدر أعمالهم ، فمنهم الراكب ، ومنهم الماشي ، ومنهم من يحشر على وجهه . وهكذا يكونون ثلاثة أصناف بيَّنهم الله تعالى في أوائل سورة الواقعة فقال :

﴿ وكنتم أزواجاً ثلاثةً * فأصحابُ الميمنَةِ ما أصحابُ الميمنة وأصحاب المشئَمة ما أُصحابُ المشْئَمَةِ * والسَّابقون السابقون * أولئك المقرَّبون ﴾[٢] .

فهذا هو تصنيف الناس يوم القيامة وستعلم حال كل صنف من هذه الثلاثة في أحوال يوم القيامة ومواطنه .

فالسابقون هم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء ، فهؤلاء يحشرون يوم القيامة ركباناً .

قال الله تعالى :

﴿ يومَ نحشرُ المتَّقِينَ إلى الرحمنِ وَفداً [٣] * ونسوقُ المجرمينَ إلى جَهَنَّمَ وِرداً ﴾[٤] .

وأصحاب الميمنة هم عامة المؤمنين . وهؤلاء يحشرون على أقدامهم . وأصحاب المشئمة هم الكفار والمنافقون وهؤلاء يحشرون على وجوههم .

قال الله تعالى :

---

(١) التكوير : ٥ .

(٢) الواقعة : ٧ ـ ١١ .

(٣) وفداً : يعني ركباناً .

(٤) مريم : ٨٥ ، ٨٦ .

﴿ **ونحشُرهُم يومَ القيامةِ على وُجوهِهِم عُمياً وبُكماً وصُمّاً** ﴾[١] .

وروى الترمذي[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنفاً مشاةً وصنفاً ركباناً ، وصنفاً على وجوههم قيل : يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم . أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك » .

وروى مسلم[٣] والبخاري وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق ، راغبين راهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثة على بعير ، وأربعة على بعير ، وعَشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا ، وتبيت معهم حيث باتوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا » .

هذا وإن المؤمنين يحشرون بيض الوجوه مستنيرة من السرور .

وأما الكافرون والمنافقون والمجرمون فإنهم يحشرون سود الوجوه مغبرة وجوههم من الخزي والخذلان .

قال الله تعالى :

﴿ **يَومَ تَبيضُّ وجُوهٌ وتَسوَدُّ وجوهٌ فأما الذينَ اسوَدَّت وجُوهُهُم أكفَرتمْ بعدَ إيمانِكُم فذُوقُوا العَذَابَ بما كُنتم تكفرون * وأما الذينَ ابيضَّت وجُوهُهم ففي رحمَةِ اللهِ هم فيها خالدون** ﴾[٤] .

---

(١) الإسراء : ٩٧ .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن باب من سورة بني إسرائيل رقم ٢٠٤٢ وقال : حديث حسن .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة رقم ـ ٢٨٦١ .

(٤) آل عمران : ١٠٦ ، ١٠٧ .

قال الله تعالى :

﴿ وجوهٌ يومئذٍ مُسفِرةٌ * ضَاحِكةٌ مُستَبشِرة * ووجوهٌ يومئذٍ عليها غَبَرةٌ * ترهَقها قترةٌ * أولئك هُمُ الكفرةُ الفجرة ﴾[١] .

كما أنَّ السابقين يكسون من حلل الجنة تأتيهم بها الملائكة ، روى البخاري ومسلم[٢] وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام » وإن الملائكة تستقبل المؤمنين من قبورهم وتبشرهم بالجنة ، قال الله تعالى :

﴿ لايَحزُنُهُم الفزَعُ الأكبَرُ وتَتَلقَّاهُم الملائكةُ هذا يومُكُم الذي كُنتم تُوعَدُونَ ﴾[٣] .

وهكذا تساق الخلائق إلى المحشر كما علمت . وإن أرض المحشر أرض بيضاء كالفضة لا ربوة فيها ولا انخفاض ، بل هي أرض مستوية فقد روى البخاري ومسلم[٤] عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاءَ عَفْراءَ كقُرصةِ النقي ليس فيها عَلَمٌ لأحدٍ ». وبعد سوقهم إلى المحشر وحيث يجمع الله الخلائق فإنهم يقفون موقفاً طويلاً ـ قيل سبعون عاماً ـ ولربما كان أكثر ينتظرون فصل القضاء . وهنا الأهوال والشدائد ،وهنا الفضيحة والعذاب ، وإليك بيان هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة أجارنا الله وإياك والمسلمين من هوله آمين .

* * *

---

(١) عبس : ٣٨ ـ ٤٢ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري كتاب التفسير ـ تفسير سورة المائدة (٧٠/٦٩/٦) ومسلم كتاب الجنة باب فناء الدنيا رقم ـ ٨٥ وللحديث بقية .

(٣) الأنبياء : ١٠٣ .

(٤) أخرجه مسلم كتاب صفات المنافقين باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة رقم ـ ٢٧٩٠ .

أحوال الناس في الموقف

لقد علمت مما سبق أنهم يحشرون على أرض بيضاء مستوية وفيها يقفون موقفاً طويلاً ينتظرون فصل القضاء والملائكة محيطون بهم حلقاً خلف حلق حيث تحيط الملائكة بالخلائق سبعة صفوف . كل ملائكة سماء صفاً .

قال الله تعالى :

﴿ كَلاَّ إذا دُكَّتِ الأرضُ دكّاً دكّاً * وَجَاءَ رَبُّكَ والملَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾[١] .

قال الله تعالى :

﴿ يومَ يقومُ الروحُ والملائكةُ صفّاً لايتكلمونَ إلاَّ من أذنَ لهُ الرحمنُ وقالَ صواباً ﴾[٢] .

وهكذا تحيط ملائكة السموات بالخلائق حيث إن السماء تذهب كما علمت . وأما بالنسبة للعباد في الموقف فإنهم متفاوتون على حسب أعمالهم . وفي هذا الموقف تتبين أ ـال الناس وتظهر فلا تخفى على أحد .

قال الله تعالى :

﴿ يوم تُبلى السَّرَائِرُ * فماله مِنْ قوةٍ ولا ناصرٍ ﴾[٣] .

وأودُّ أولاً أن أبين لك أهوال الموقف ثم أبين لك تفاوت الناس فيه .

فاعلم ياأخي أن من أهواله : أن الشمس تدنو من الرءوس مقدار ميل حتى تغلي الأدمغة من شدة حرها . كيف لا وحرارة الشمس تقدر بـ ٢٠ مليون درجة مئوية .

---

(١) الفجر : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) النبأ : ٣٨ .

(٣) الطارق : ٩ ، ١٠ .

فقد روى مسلم[١] عن المقداد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « تُدْنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل » يقول سليم بن عامر الراوي عن المقدار ، فما أدري أهو الميل مسافة الأرض ، أم الذي يكتحل به ـ فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً ، وأشار بيده إلى فيه .

وهكذا يفيض منهم العرق حتى يمضي في الأرض سبعين ذراعاً . فقد روى البخاري ومسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » . وإنهم في هذه الأحوال يتمنون الانصراف ولو إلى النار .

وإن من أهواله : أن يؤتى بجهنم ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها .

قال الله تعالى :

﴿ وجِيءَ يومئذٍ بجهنمَ يومئذٍ يتذكَّرُ الإنسانُ وأنَّى لهُ الذِّكرى * يقولُ ياليتني قدَّمتُ لحياتي * فيومئذٍ لا يُعذبُ عذابَهُ أحدٌ * ولا يُوثِقُ وَثاقَهُ أحدٌ ﴾[٣] .

وروى مسلم[٤] والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب في صفة القيامة رقم ـ ٢٨٦٤ .
(٢) أخرجه البخاري كتاب الرقاق باب قول الله تعالى ﴿ ألا يظن أولئك ﴾ (١٣٨/٨) .
(٣) الفجر : ٢٣ ـ ٢٦ .
(٤) أخرجه مسلم كتاب الجنة باب في شدة حر جهنم رقم ـ ٢٨٤٢ .

يجرونها » وعندما يجاء بها ولها دوي ، ولها صوت مخيف .

قال الله تعالى :

﴿ إذا رَأَتْهُم مِنْ مكانٍ بعيدٍ سَمِعُوا لها تَغَيُّظاً وزَفِيراً ﴾[١]

وقال الله تعالى :

﴿ سمِعُوا لها شَهِيقاً وهي تَفُورُ ﴾[٢] .

فإذا قربت منهم يخرج منها عنق من النار فينطوي على بعض الناس ويجرهم إلى النار .

فقد روى الترمذي[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج عُنُقٌ من النار يوم القيامة لها عينان تُبصران ، وأذنان تسمعان ، ولسان ينطق ، ويقول : إني وكلت بثلاثة : بمن دعا مع الله إلهاً آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبالمصورين[٤] » فهؤلاء الثلاثة ينطوي عليهم ويلتقطهم من بين الخلائق كما يلتقط الطائر حب السمسم . فهذه هي أحوال الموقف مع طول الوقوف والأبصار شاخصة ينتظرون فصل القضاء .

قال الله تعالى :

﴿ ولا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يعْمَلُ الظالمونَ إنما يؤخِرهم ليومٍ تشخَص فيه الأبصارُ * مُهْطِعِينَ مُقنِعِى رُءوسِهُم لا يَرتَدُّ إليهم طَرْفُهُم وأفئِدتُهُم هواءً ﴾[٥] .

---

(١) الفرقان : ١٢ .

(٢) الملك : ٧ .

(٣) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم باب ماجاء في صفة النار رقم ـ ٢٥٧٤ وقال حسن صحيح غريب .

(٤) المصورين : الذين ينحتون التماثيل .

(٥) إبراهيم : ٤٢ ، ٤٣ .

وأما تفاوت الناس فيه والكشف عن أعمالهم وفضيحتهم فإن السابقين وبعض المؤمنين يكونون بعيدين عن حر الشمس بل في ظل عرش الرحمن . وأذكر لك بعض الأعمال التي توجب ذلك لعلك توفق إليها لتكون في ظل العرش يوم القيامة .

فقد روى البخاري ومسلم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » فإن هؤلاء السبعة أصناف من الناس يكونون في ظل العرش ، والناس في الشمس ، ومنهم من يكونون على منابر من نور وهم المتحابون في الله . حيث صح في الحديث القدسي[٢] عن الله : « المتحابون في جلالي أنصب لهم يوم القيامة منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء وليسوا بأنبياء ولا بشهداء » .

وأما أهل الموقف فمنهم من يكون في ظل صدقته ، تكون عليه كالظلة تقيه حر الشمس كما ورد عن رسول الله ﷺ . والعرق كاعلمت متفاوتون فيه على قدر أعمالهم ، وأما عن معرفة عمل كل واحد منهم : فالكفار عمياناً سود الوجوه .

قال الله تعالى :

﴿ وَمن أعرَضَ عن ذِكرِي فإنَّ لهُ معيشةً ضَنْكاً ونحشُرُهُ يومَ القِيامَـةِ أعمى * قال ربِّ لِمَ حَشرتَنِي أعمى وقد كَنتُ بَصيراً * قال كذلكَ أتتك آياتُنَـا فنسِيتَهـا

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الصلاة باب من جلس في المسجد منتظر الصلاة وفضل المساجد (١٦٨/١) .

(٢) الحديث أخرجه الطبراني والحاكم راجع كنز العمال : ١٢/٩ رقم ـ ٢٤٦٩٣ ورقم ـ ٢٤٦٩٤ .

وكذلك اليومَ تُنْسَى ﴾[١] .

قال الله تعالى :

﴿ ومَن كانَ في هذه أعمى فهو في الآخِرَةِ أعمى وأضلُّ سبيلاً ﴾[٢] .

وهكـذا يعرفـون بسـواد وجـوههم ، وعمى عيـونهم ، وهـذا حـال الكفـار والمنافقين . وأما عن بعض العصاة غير التائبين فكذلك تظهر أعمالهم .

فالمتكبرون يحشرون كالذر تطؤهم الخلائق بـالأقـدام لهوانهم وحقـارتهم ، حيث ورد في الحـديث الشريف[٣] : « المتكبرون يوم القيـامـة كالـذر[٤] تطؤهم الخلائق بالأقدام » .

آكلوا الربا : يحشرون يوم القيامة كالمجانين بسبب أكلهم الربا .

قال الله تعالى :

﴿ الذينَ يأكلونَ الرِّبـا لا يقومونَ إلا كما يقومُ الـذي يتَخبَّطُـه الشَّيطـانُ مِنَ المسِّ ذلك بأنهم قالوا إنما البيعُ مثلُ الرِّبا وأحل اللهُ البيعَ وحَرَّمَ الرِّبا ﴾[٥] .

الذين يسألون الناس من غير حاجـة ـ يعني يشحـذون ـ : يحشرون وليس في وجوههم لحم بل عظام كالحة . فقد روى البخاري ومسلم[٦] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قـال رسول الله ﷺ : « لايزال الرجل يسـأل النـاس حتى يـأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزْعة لحم » .

---

(١) طه : ١٢٤ ـ ١٢٦ .
(٢) الإسراء : ٧٢ .
(٣) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة رقم ـ ٢٤٩٢ وقال حسن صحيح وللحديث بقية .
(٤) الذر : صغار النمل .
(٥) البقرة : ٢٧٥ .
(٦) أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس رقم ـ ١٠٤ .

مانعو الزكاة : يعذبون بالمال الذي منعوا زكاته ، سواء كان نقداً ، أو كان إبلاً ، أو بقراً ، أو غنماً ، والناس يشهدون عذابهم في الموقف .

فقد روى البخاري ومسلم[١] وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب كنز لايؤدي زكاته إلا أحمي عليه في نار جهنم فيجعل صفائح فيكوى بها جنباه وجبينه حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وما من صاحب إبل لايؤدي زكاتها إلا بُطح لها بقاع قرقر[٢] كأوفر ماكانت تستن[٣] عليه كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، وما من صاحب غنم لا يؤدي زكاتها إلا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ماكانت فتطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها ليس فيها عقصاء[٤] ولا جلحاء كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » .

قال الله تعالى :

﴿ والذينَ يَكْنِزونَ الذهبَ والفِضةَ ولا يُنْفِقُونَها في سبيلِ الله فبشِّرهُم بعذاب أليم * يومَ يُحمى عليها في نار جهنم فتُكوى بها جِبَاهُهُم وجُنُوبُهُم وظُهُورُهم هذا ما كَنَزتم لأنفسِكم فَذُوقُوا ما كُنتم تكْنِزُون ﴾[٥] .

وإن هذه بعض مظاهر حقوق الله .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب إثم مانع الزكاة رقم ـ ٢٦ .

(٢) القرقر : المستوى الواسع من الأرض .

(٣) تستن : أي يجري وتدور عليه .

(٤) عقصاء : ملتوية القرن . الجلحاء : التي ليس لها قرن .

(٥) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ .

وأما حقوق العباد ومظالمهم فإنه يأتي يحملها يوم القيامة على ظهره أياً كانت .

قال الله تعالى :

﴿ وهم يحملونَ أوزَارَهم على ظُهورِهم ألا سَاءَ مايزرون ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ ومَن يغلُلْ [٢] يأتِ بما غَلَّ يومَ القيامةِ ﴾[٣] .

قال الله تعالى :

﴿ وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إلى حِمْلِها لا يُحْمَل منهُ شيءٌ ولو كان ذا قُربى ﴾[٤] .

وروى البخاري ومسلم[٥] عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة ، بعيراً لهُ رُغاءٌ[٦] أو بقرة لها خُوارٌ أو شاة تَيْعر » ثم رفع يديه حتى رُؤي بياضُ إبطيه فقال : « اللهم هل بلغت » حتى ولو كانت المظلمة أرضاً جاء يحملها يوم القيامة من سبع أرضين .

فقد روى البخاري[٧] ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » . وترى بعض الناس يوم

---

(١) الأنعام : ٣١ .

(٢) الغلول : السرقة من الغنية في الحرب .

(٣) آل عمران : ١٦١ .

(٤) فاطر : ١٨ .

(٥) أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب تحريم هدايا العمال رقم - ٢٧/٢٦ .

(٦) الرغاء : صوت البعير . والخوار . صوت البقر . واليعار : صوت الشاة .

(٧) أخرجه البخاري كتاب المظالم باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض (١٧١/١٧٠/٣) .

القيامة كالمشلول المصاب بالشلل النصفي ، وهو الذي لايعدل بين زوجاته في الدنيا .

فقد روى أصحاب السنن[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كانت له امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » هذا بالنسبة للأعمال السيئة وأما بالنسبة للأعمال الصالحة فإنها كذلك تظهر ويعرف أصحابها ، وكل عمل له أثره وميزته في الموقف . ولقد علمت فيما سبق أن المتحابين في الله على منابر من نور في ظل العرش . كما علمت أن الصدقة تكون فوق صاحبها كالظلة تقيه حر الشمس ، وتكون وقاية له من النار .

فقد روى البخاري ومسلم[٢] والنسائي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل » .

الصلاة وأثرها : فالمصلون يأتون يوم القيامة ولهم نور في وجوههم وفي أيديهم وأرجلهم .

قال الله تعالى :

﴿ يومَ يقولُ المنافقونَ والمنافقاتُ للذين آمنوا انظُرُونا نَقتَبِسْ من نُورِكُم قيلَ ارجِعُوا ورَاءَكُم فالتِمسُوا نُوراً فَضُرِب بينهم بسورٍ له بابٌ باطِنُهُ فيه الرَّحمَةُ وظاهِرُهُ من قِبَلِهِ العذابُ ﴾[٣] .

وقال الله تعالى :

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب النكاح باب ماجاء في التسوية بين الضرائر رقم ـ ١١٤١ وأبو داود كتاب النكاح رقم ـ ٢١٣١ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة رقم ـ ١٠١٦ .

(٣) الحديد : ١٣ .

﴿ يوم لا يُخزي الله النبيَّ والذينَ آمنوا معَهُ نورُهُم يسْعى بينَ أيْديهم وبأَيْمَانِهم يقولونَ رَبَّنا أتْمِمْ لنا نُورَنا واغْفِرْ لنا إنك على كلِ شيءٍ قَدِيرٌ ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ يَومَ ترى المؤمنينَ والمؤمناتِ يسعى نُورُهُم بين أيديهم وبأَيْمَانِهم بُشْرَاكُم اليومَ جناتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذلكَ هوَ الفوزُ العظيمُ ﴾[٢] .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال[٣] : « الصلاة نور » .

وروى البخاري[٤] ومسلم والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : « إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل » . وإن هذه السمات ليست إلا لأمة محمد ﷺ دون سائر الأمم .

وأما الأذان : فالمؤذنون يكونون أطول الناس أعناقاً في الموقف ويعرفون بأنهم كانوا مؤذنين في الدنيا .

فقد روى مسلم[٥] عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المؤذنون أطولُ الناس أعناقاً يوم القيامة » . فهذه بعض مشاهد الموقف التي وردت إلينا بالأدلة الصحيحة كما علمت . كما أنَّ من مشاهده : أحواض الرسل وسقيهم لأممهم ، والناس في شدة الظمأ . ومما لاشك فيه أن أعظم حوض هو

(١) التحريم : ٨ .
(٢) الحديد : ١٢ .
(٣) أورده السيوطي في الجامع الصغير ، بلفظ « الصلاة نور المؤمن » أخرجه القضاعي وابن عساكر . فيض القدير (٢٤٦/٤) وقال العامري في شرح الشهاب صحيح .
(٤) أخرجه مسلم كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة رقم ـ ٢٤٦ .
(٥) أخرجه مسلم كتاب الصلاة باب فضل الأذان رقم ـ ٣٨٧ .

حوض سيدنا محمد ﷺ حيث وعده الله تعالى به فقال :

﴿ إِنَّا أَعطَينَاكَ الكَوثَرَ ﴾[١] . والكوثر نهر في الجنة يصب في الحوض .

فقد روى الترمذي[٢] عن أنس رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ : ما الكوثر ؟ قال : ذاك نهر في الجنة أعطانيه الله ، أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، فيه طير أعناقها كأعنق الجزورُ .

فقال عمر رضي الله عنه : إن هذه لناعمة . فقال رسول الله ﷺ : « أَكَلُها أنعم منها »[٣] .

وروى الترمذي[٤] عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكل نبي حوضاً ترده أمته ، وإنهم يتباهون أيهم أكثرُ واردةً ، أرجو أن أكون أكثرهم واردة » .

وأما الصيام : فالصائمون يوم القيامة تنبعث من أفواههم ريح كريح المسك . فقد روى البخاري[٥] ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمد بيدهِ لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك » .

وروى مسلم[٦] والترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله ما آنية الحوض ؟ قال : « والذي نفسي بيده لآنيته أكثرُ من عدد نجوم السماء

---

(١) الكوثر : ١ .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة طير الجنة رقم ـ ٢٥٤٢ وقال : حسن غريب .

(٣) أكلتها أحسن منها .

(٤) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة باب ما جاء في صفة الحوض رقم ـ ٢٤٤٣ وقال : غريب .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب فضل الصوم (٣١/٢) .

(٦) كتاب الفضائل رقم ـ ٢٣٠٠ .

كواكبها في الليلة المظلمة المصحية ، آنية الجنـة ، من شرب منها لم يظمأ ، آخر مـا عليه يَشخُبُ فيه ميزابانِ من الجنة عرضه مثل طول مابين عمَّان إلى أيلة ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل » .

واعلم يـاأخي سقـانـا الله وإيـاك من حـوض نبينـا محمـد ﷺ شربـة لا نظمأ بعدها : أنه لا يشرب من الحوض إلا من اتبع سبيل الإسلام وهـدي سيـدنـا محمـد عليـه الصلاة والسلام فقـد روى البخـاري ومسلم[١] عن ابن مسعود رضي الله عنـه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا فَرَطُكُم على الحوض وليرفعن إليّ رجـال منكم حتى إذا أهـويت إليهم لأنـاولهم اختلجـوا[٢] دوني فـأقـول : أي رب أصحـابي . فيقال : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي » .

هذا وإذا طال بهم الوقوف والانتظـار . وهو كما علمت في هـذا الكرب وتلـك الشـدة ، وحر الموقف يتوهج من شـدة حرارة الشمس التي هي جـزء من جهنم ولم يقض الله بينهم بشيء . فعنـدهـا يلتمسـون من يشفـع لهم عنـد الله للقضـاء بين الخلائق. ويأتون آدم، ونوحاً، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ليشفعوا لهم فيعتـذرون، حيث إن هذه ليست لأحد منهم. بل هي لسيدنا محمد ﷺ . فيـأتون إلى سيـدنـا محمد ﷺ فيقول: أنا لها. وهذا هو المقام المحمود الذي وعده تعالى أن يعطيه .

قال تعالى :

﴿ وَمِنَ اللَّيـل فَتَهَجَّـد بِـه نـافِلـةً لـكَ عسى أن يبعثَـكَ ربُّـكَ مَقـامـاً مَحموداً ﴾[٣] .

---

(١) كتاب الفضائل باب إثبات الحوض رقم ـ ٢٢٩٧ .

(٢) اختلجوا : الخلج الجذب والنزع أي : يجتـذبـون ويقتطعـون . النهـايـة (٥٩/٢) وقـال ابن حجر في مقدمة الفتح (١١٠/١) : اختلجوا دوني : أي اقتطعوا أو انتزعوا مني .

(٣) الإسراء : ٧٩ .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا في دعوة مع رسول الله ﷺ فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس[1] منها نهسة وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينظرهم الناظر ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم . فيأتون فيقولون : ياآدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى إلى مانحن فيه وما بلغنا ؟ فقال : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله ولا يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح أنت أول الرسل إلى الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً ، ألا ترى إلى مانحن فيه ، ألا ترى إلى ما بلغنا ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله . وإنه كانت لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقولون : ياإبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله، وإني كنت كذبت ثلاث كذبات،[2] نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن

---

(١) نهس : أي أخذ منها بأطراف أسنانه .

(٢) وهذه الكذبات التي أشار إليها هي في حقيقتها ليست كذباً ، بل لعلها من قبيل التورية .

يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى . فيأتون عيسى فيقولون : أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري إلى محمد ﷺ . فيأتون فيقولون : يامحمد أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى مانحن فيه ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال : يامحمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يارب ، أمتي يارب فيقال : يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال :

والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين[1] من مَصَاريعِ الجنة كما بين مكة وَحِمَيَر ، أو كما بين مكة وبُصرى »[2] فهذا هو المقام المحمود الذي وعد الله رسوله محمداً ﷺ أن يعطيه ، وإنما يكون ذهاب الناس إلى الرسل واحداً واحداً يوم القيامة وكل يدفع إلى الآخر . ولم يأتوا محمداً ﷺ لبيان فضله على سائر الرسل يوم القيامة .

ولعلك تقول ياأخي من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ؟ وماذا يعملون ؟ .

فاعلم ياأخي أنهم المتوكلون على الله والمفوضون الأمر إليه .

---

(١) المصراعين : طرفي الباب أو جانبيه .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير تفسير سورة بني إسرائيل (١٠٥/٦/١٠٦/١٠٧) .

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ذكر : أن الله يعطيه يوم القيامة أن يدخل من أمته الجنة بغير حساب سبعين ألفاً ، ومع كل ألف ـ وفي رواية ومع كل واحد ـ سبعين ألفاً ، وثلاث حثيات من حثيات رب العالمين . ولما سُئل عنهم قال : « هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون »[١] .

ولقد علمت فيما تقدم أن الناس ثلاثة أصناف : أولهم السابقون وهؤلاء هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب . ويبقى أصحاب اليمين ، وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وهم المؤمنون ، ثم أصحاب الشمال وهم الكفار والمنافقون ، وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم كما ستعلم ذلك فيما بعد .

ثم بعد أن يشفع محمد ﷺ للناس في فصل القضاء والحكم بين الخلائق يأذن الله بالقضاء والحساب بين الخلائق والله سريع الحساب .

* * *

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة رقم (٣٧١/٣٧٢) .

الحساب والقضاء بين العباد

عندما يأذن الله بالحساب والقضاء بين الخلائق . فأول ما يدعو الرسل ويسألهم عن تبليغ ما أرسلوا به . قال تعالى :

﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الذين أُرسِلَ إليهم ولنسْأَلَنَّ المرسلين ﴾(١) .

فإذا أخبروه بأنهم بلغوا رسالات ربهم إلى أقوامهم وكذبوهم وهو أعلم بذلك فعندها يدع الأمم وأول مايدعو أمة محمد ﷺ فيسألهم . قال تعالى :

﴿ فَورَبك لنسألنهُم أجمعين * عمَّا كانوا يعملون ﴾(٢) .

فالمؤمن يتبين إيمانه والكافر يتبين كفره والمنافق يتبين نفاقه . وهكذا تسأل بقية الأمم . وبعد هذا العرض على الله كعرض عام يعرضون عليه ثانية للمناقشة والحساب فرادى يحاسب كل واحد منهم .

قال تعالى :

﴿ إنَّ إلينَا إيابَهُم * ثُمَّ إنَّ علينا حِسَابَهم ﴾(٣) .

وروى الترمذي(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عَرْضَاتٍ ، فأما عرضتان ، فَجِدالٌ ومعاذير فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله » .

وهكذا يعرضون على الله للحساب وإن حساب الناس يتفاوت على قدر أعمالهم . فمنهم اليسير والعسير والسر والجهر ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء

---

(١) الأعراف : ٦ .

(٢) الحجر : ٩٢ ، ٩٣ .

(٣) الغاشية : ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب ماجاء في العرض رقم ـ ٢٤٢٥ .

والله على كل شيء قدير .

وأول مايقضي الله تعالى بين البهائم ثم بعد ذلك يقول لها : كوني تراباً فتكون ، وإذا رأى الكفار ذلك قالوا : ياليتنا كنا تراباً ، أي : ليتنا كنا حيوانات لنكون تراباً .

قال الله تعالى :

﴿ يومَ يَنظُر المرءُ ما قدمت يَدَاهُ ويقولُ الكافِرُ ياليتني كنتُ تُرَاباً ﴾[١] .

وروى مسلم والترمذي[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لتُؤدَنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقادَ للشاة الجلحاء[٣] من الشاة القرناء ».

وحكمة حشر الحيوانات وبعثها إنما هو تعذيب لبعض الناس كمنعهم زكاتها كما علمت وأخذها ظلماً من أهلها بغير حق وحملهم على ظهورهم والله أعلم .

وأول ما يقضي الله بين العباد يقضي في الدماء . فقد روى البخاري ومسلم[٤] وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء » . حيث يتعلق المقتول بالقاتل ويقول : يارب خذ لي حقي ممن قتلني .

وأول مايحاسب عليه العبد من أعماله الصلاة فإن صلحت وقبلت فقد فاز وأفلح ، وإن فسدت ولم تقبل ، فقد خاب وخسر .

---

(١) النبأ : ٤٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم رقم ـ ٢٥٨٢ .

(٣) الجلحاء : التي ليس لها قرون .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب القصص يوم القيامة (١٣٨/٨) .

روى الترمذي والنسائي[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح ونجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، وإن انتقص من فريضته شيئاً قال الرب تبارك وتعالى : (انظروا هل لعبدي من تطوع ؟ فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك » وإنما يحاسب الله العبد ويسأله عن أربع : عمره وعلمه وماله ، وجسمه » .

فقد روى الترمذي[٢] عن أبي برزة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدم عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ماعمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » فكل عبد يسأله الله تعالى ويحاسبه على هذه الأربع .

ففكر ياأخي في وقوفك أمام الله وهو يسألك عن عمرك . وكل لحظة تمر عليك هي من عمرك وستُسأل عنها . هل أمضيتها في طاعة الله أو في معصيته ؟ وعن علمك الذي علمك الله وكل شيء تعلمه من أمور دينك فهو علم . هل عملت بما تعلم أم لم تعمل ؟ وعن المال الذي جمعته وتنفق منه من أين اكتسبته أمن الحلال أم من الحرام ؟ وفيما أنفقته أفي معصية الله أم في طاعته ؟ وكل قرش أو فلس ستُسأل عنه عن مصدر اكتسابه وموضع إنفاقه ، وعن جسمك وعن حواسك التي أعطاك ، كالسمع ، والبصر ، والنطق ، والعقل وغيرها فيما كنت تستعملها في مرضات الله أم في معاصيه ؟ فأعدَّ للسؤال جواباً فإن الناقد بصير ، والمحاسب خبير ، لا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . قال عليه الصلاة والسلام : « الحق لايبلى ، والعمل لا ينسى ، والديان لايموت ، اعمل

---

(١) أخرجه النسائي كتاب الصلاة باب المحاسبة على الصلاة رقم ـ ٤٦٦ والترمذي كتاب الصلاة رقم ـ ٤١٣ وقال حسن غريب .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة باب في القيامة رقم ـ ٢١٧ وقال حسن صحيح .

ماشئت كما تدين تُدان »[١] .

وإليك ياأخي ماورد عن حساب بعض الناس المرائين الذين يعملون لغير الله لتعلم أن الله إنما يحاسب على النوايا والأعمال ولا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له وأريد به وجهه .

روى مسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمَهُ فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ، ثم أمر به فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتي به فعرَّفه نعمَه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليُقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فسُحِب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتي به فعرَّفهُ نعمَه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : ماتركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار » وفي رواية : أولئك أول خلق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة .

ثم إن المحاسبين يوم القيامة قسمان : تائبٌ من ذنوبه ، ومُصرٌّ على المعصية حتى مات . وكلاهما يسألهم الله عن أعمالهم .

فالتائب الذي يريد الله أن يغفر له . والله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء

---

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء (١٢٦/٢) وقال في اللآلىء رواه البيهقي في كتاب الزهد والأسماء والصفات عن أبي قلابة وقال هذا حديث مرسل .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء استحق النار رقم ـ ١٩٠٥ .

والله غفور رحيم ، يدنيه الله تعالى فيستره عن الخلائق ويقرره بذنوبه ، فيعترف بها ، ثم يغفرها الله تعالى له والله ذو فَضل عظيم .

قال الله تعالى :

﴿ وإني لغفَّارٌ لمَنْ تابَ وَآمنَ وعمِلَ صَالِحاً ثم اهتدى ﴾[١] .

روى البخاري ومسلم[٢] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه[٣] فيقرره بذنوبه . فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : أعرف يارب ، أعرف يارب . فيقول سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم ، ثم يعطى صحيفة حسناته وأما الآخرون من الكفار والمنافقين فينادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » .

هذا وإنّ التائب من ذنوبه توبة نصوحاً ، يغفر الله له ذنوبه ويُنسي جوارحه والكرام الكاتبين أعماله ؛ حتى ولو كانت حقوقاً للعباد ومات وهو عازم على أدائها ، فإن الله يتحمل عنه تلك الحقوق ويرضي عنه خصماءه يوم القيامة .

فقد روى أحمد والبخاري وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » .

فقد روي[٤] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رجلان من أمتي جثيا بين يدي

---

(١) طه : ٨٢ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله رقم ـ ٢٧٦٨ .

(٣) كنفه : ستره .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الأهوال (٥٧٦/٤) وقال الذهبي فيه : عباد ضعيف وشيخه لايعرف .

رب العزة ، فقال أحدهما : يارب خذ لي مظلمتي من أخي : قال : وماذا تريد ؟ قال : أعطني من حسناته . قال : فإن لم تكن عنده حسنات . قال : خذ من أوزاري واطرح عليه . قال : ارفع طرفك ياعبدي ، فرفع طرفه فإذا مدائن من فضة قال : يارب لمن هذه المدائن لأي نبي ولأي شهيد ؟ قال : هذه لمن أعطاني الثمن . قال : يارب ومن يستطيع أن يعطيك ثمن ذلك ؟ قال : أنت ياعبد . قال : وما هو يارب ؟ قال : عفوك عن أخيك . قال : يارب إني قد عفوت عن أخي . قال : خذ بيد أخيك وادخلا الجنة . عندها قال رسول الله ﷺ : اتقوا الله وأصلحوا بين إخوانكم فإن الله يصلح بين عباده المؤمنين يوم القيامة » .

وهكذا يغفر الله لبعض عباده تكرماً منه وفضلاً والله ذو فضل على المؤمنين .

وأما الكافرون ، والمنافقون ، والمجرمون . ومن يرد الله أن يعذبه فإن الله سبحانه وتعالى يناقشه حسابه ويفضحه على رءوس الخلائق ويحاسبه حساباً عسيراً ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾[١] ﴿ وما أنا بظلام للعبيد ﴾[٢] .

روى البخاري ومسلم[٣] وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من نوقش الحساب عذب » فإذا أحضر أحد ممن ذكرنا بين يدي الله ، فالكافر لاينكر ولكن المنافق ينكر ويعتذر ، ويظن أن ظاهر إيمانه ينفعه ، وأعماله التي كان يعمل في الدنيا لغير الله تنفعه .

---

(١) الكهف : ٤٩ .

(٢) ق : ٢٩ .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الجنة باب إثبات الحسابات رقم ـ ٢٨٨٦ .

قال الله تعالى :

﴿ يَومَ يبعثُهُم اللهُ جميعاً فيحْلفونَ لهُ كما يحلفونَ لكم ويحْسبون أنهم على شيءٍ ألا إنهم همُ الكاذِبونَ ﴾[١] .

فيقررهم على أعمالهم صغيرها وكبيرها . قال الله تعالى :

﴿ يومَ يبعثُهُم الله جميعاً فينبِّئُهم بما عَمِلوا أحصاهُ اللهُ ونسوهُ واللهُ على كلِّ شيءٍ شهيد ﴾[٢] .

فإن أنكر العبد شيئاً من أعماله أو اعتذر ؛ أمر الله الجوارح فتشهد عليه ، فينطق اللسان بما تكلم ، وتنطق الأذن بما سمعت ، وتنطق العين بما رأت وتنطق اليد بما اكتسبت ، وتنطق الرجل بما مشت ، وتنطق كل جوارحه وجلده بما عمل ، ولأجل ماذا عمل .

قال الله تعالى :

﴿ يومَ تشهدُ عليهم ألسِنَتُهم وأيديهم وأرجُلهم بما كانوا يعملون ﴾[٣] .

وقال الله تعالى :

﴿ حتَّى إذا ما جَاءُوهَا شَهِدَ عليهم سَمعُهُم وأبصارُهم وجلودُهم بما كانوا يَعمَلون * وقالوا لِجُلودِهِم لِمَ شَهِدتُّم علينا قالوا أنطقَنَا اللهُ الذي أنطَقَ كلَّ شَيء ﴾[٤] .

وقال الله تعالى :

---

(١) المجادلة : ١٨ .

(٢) المجادلة : ٦ .

(٣) النور : ٢٤ .

(٤) فصلت : ٢٠ ، ٢١ .

﴿ اليـومَ نختِمُ على أفـوَاهِهِم وتُكلِّمُنـا أيـديهِم وتَشهَـدُ أرجُلُهم بمـا كانـوا يَكسِبونَ ﴾[١] .

كا أن بقاع الأرض تشهد على العبد بما عمل عليها من عمل قال تعالى :

﴿ إذا زلـزلت الأرض زلـزالهـا * وأخرجت الأرض أثقـالهـا * وقـال الإنسـان مالها * يومئذ تحدث أخبارها ﴾[٢] .

روى أحمد والبغوي والترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾[٣] .

فقـال : أتـدرون مـا أخبـارهـا ؟ قـالـوا : الله ورسـولـه أعلم . قـال : فـإن أخبـارهـا : أن تشهـد على كل عبـد أو أمـة بمـا عمل على ظهرهـا أن تقول : عمل كذا ، وكذا يوم كذا وكذا قال : فهذه أخبارها .

فاعلم يـاأخي أن شهودك معـك واعلم أن أعضـاءك وجسمـك كآلات التسجيل تسجل عليك كل مـاتفعلـه أو تقول ، فحـاسب نفسـك قبل أن تحـاسب ، وراقب ربك بكل ما تعمل واعلم بأنك مسئول عن كل شيء ومجزي لنفسك ماتشاء .

روى مسلم[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـالوا : يـارسول الله هـل نرى ربنـا يوم القيـامـة ؟ فقـال : « هـل تضـارون في رؤيـة الشمس في الظهيرة ليست في سَحـابـة ؟ قـالـوا : لا . قـال : هـل تضـارون في رؤيـة القمر ليس في

(١) يس : ٦٥ .
(٢) الزلزلة : ١ ـ ٤ .
(٣) الزلزلة : ٤ .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم باب من كانت له مظلمة عند الرجل (١٧٠/٣) .

سحابة ؟ قالوا : لا . قال : والذي نفسي بيده لاتضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون[١] في رؤية أحدهما ، فيلقى العبد ربه فيقول أي فُل[٢] ألم أكرمك ، وأسودك[٣] وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل ، وأتركك ترأس وتربعُ ؟ فيقول : بلى يارب . فيقول : أظننت أنك ملاقيَّ ؟ فيقول : لا . فيقول : إني أنساك كما نسيتني ، ثم يلقى الثاني فيقول له مثل ذلك ، ثم يقول للثالث مثل ماقال للأول . فيقول : بلى يارب . فيقول : أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : أي يارب . آمنت بك وبكتابك ورسلك ، وصليت ، وصمت ، وتصدقت ، ويثني بخير ما استطاع . فيقول : أهاهنامن يشهد لك ؟ فيقول : لا . فيقول : الآن يبعث عليك شاهد فيتفكر في نفسه ، من ذا الذي يشهد عليَّ ؟ فيختم على فيه . فيقال لفخذه : انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق الذي يسخط الله تعالى عليه .

وروى مسلم[٤] عن أنس رضي الله عنه قال : ضحك رسول الله ﷺ فقال : هل تدرون ممَّ أضحك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : من مخاطبة العبد ربه فيقول : يارب ألم تجرني من الظلم ! ؟ فيقول : بلى . فيقول : فإنِّي لا أجيز اليوم على نفسي شاهداً إلا مني . قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً و بالكرام الكاتبين شهوداً . قال : فيختم على فيه ، فيقال لأركانه : انطقي فتنطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام قال : فيقول : بُعداً لَكُنَّ وسُحقاً فعنكُنَّ كنت أناضلُ[٥] .

---

(١) لاتضارون : لا يضايق بعضكم بعضاً في رؤيته ولا ينازعه بل تكونون متفقين في رؤيته .

(٢) فل : ترخيم فلان .

(٣) أسودك : أجعلك سيداً .

(٤) كتاب الزهد والرقائق رقم ـ ٢٩٦٩ .

(٥) أي : أخاصم وأجادل .

وفي هذه الأحاديث الصحيحة دليل على أن الله يعيد نفس الأجساد التي كانت في الدنيا حيث إن الجوارح والأعضاء التي ارتكبت الأعمال هي التي تشهد . وإلا كيف تشهد أعضاء وجوارح لم تكن شهدت ذلك العمل أو ارتكبته ؟ !

كما إنّ أرباب المظالم تتعلق به تطلب جزاء مظالمها . وإنما جزاء المظالم يوم القيامة أن يأخذوا من حسناته بقدر مظالمهم . فإن لم يكن عنده حسنات أخذ من سيئاتهم فأطرح عليه .

فقد روى البخاري[1] والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كان عنده مظلمةٌ لأخيه من عرض أو شيء منه فليتحلله منه اليوم ، من قبل ألّا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

وروى مسلم[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » .

وهكذا ينتصف الله للمظلوم من الظالم وهو أعدل الحاكمين . ثم بعد ذلك ينصب الميزان لوزن الأعمال .

* * *

---

(١) راجع التعليق رقم ـ ٤ صفحة ١٢٨ .

(٢) كتاب البر والصلة وباب تحريم الظلم رقم ـ ٢٥٨١ .

الميزان ووزن أعمال العباد

اعلم ياأخي أن الذين توزن أعمالهم هم المؤمنون الذين خلطوا أعمالاً صالحة وأعمالاً سيئة ، وأما الكافرون فلا ينصب لهم ميزان حيث إنه يعجل لهم ثواب حسناتهم في الدنيا وأما في الآخرة فلا شيء لهم .

قال الله تعالى :

﴿ والذين كَفَرُوا أعْمالُهم كَسَرَابٍ بِقيعةٍ يحسَبُهُ الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءَهُ لم يجدْهُ شيئاً ووجَدَ الله عندَهُ فَوفَّاهُ حِسَابَهُ واللهُ سرَيعُ الحِساب ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ وقَدِمْنا إلى ماعَمِلوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلناهُ هَبَاءً منثوراً ﴾[٢] .

وقال الله تعالى :

﴿ أولئك الذينَ كَفَرُوا بآياتِ رَبِّهم ولِقائِهِ فحَبِطت أعمالُهم فلا نُقيم لهُم يَومَ القِيامةِ وزناً ﴾[٣] .

كما أن السابقين من الصديقين والشهداء لا ينصب لهم ميزان ، وهم الذين يدخلون الجنة من غير حساب كماتقدم .

واعلم أن الميزان ميزان حسي له كفتان ، إحداهما نيرة وهي اليمنى المعدة للحسنات ، والأخرى مظلمة وهي اليسرى المعدة للسيئات . .

قال الله تعالى :

---

(١) النور : ٣٩ .

(٢) الفرقان : ٢٣ .

(٣) الكهف : ١٠٥ .

﴿ ونَضَعُ المَوَازينَ القِسطَ ليوم القِيامةِ فلا تُظلمُ نفسٌ شيئاً وإن كانَ مِثقَال حبّة من خَردَلٍ أتينَا بها وكفى بِنا حاسِبِينَ ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ فمنْ ثقُلتْ موازينُه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون ﴾[٢] .

وقال الله تعالى :

﴿ فأمَّا من ثَقُلَت موازِينُهُ * فهو في عِيشةٍ رَاضيةٍ * وأما من خَفَّت موازِينهُ * فأمُّه هَاويةٌ ﴾[٣] .

قال الله تعالى :

﴿ والوزْنُ يومئذٍ الحقُّ ﴾[٤] .

واعلم ياأخي إنما هو ميزان حساس أدق من كل الموازين فما ظنك بميزان ترجحه الذرة .

قال الله تعالى :

﴿ فَمَنْ يَعَمل مِثقَالَ ذَرّةٍ خيراً يَرَهُ * ومن يعمل مثقالَ ذرةٍ شرّاً يره ﴾[٥] .

وكيف لايكون دقيقاً وواضعه أعدل الحاكمين . واعلم أن موطن وزن الأعمال

---

(١) الأنبياء : ٤٧ .

(٢) المؤمنون : ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) القارعة : ٦ _ ٩ .

(٤) الأعراف : ٨ .

(٥) الزلزلة : ٧ ، ٨ .

من المواطن الرهيبة بالنسبة ليوم القيامة ، حيث ينسى فيه العبد أهله وأحبابه بل ينشغل بنفسه .

فقد روى أبو داود[1] عن عائشة رضي الله عنها قالت : ذكرت النار فبكيت . فقال رسول الله ﷺ : « مايبكيك ؟ قلت : ذكرت النار فبكيت . فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ قال : أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً : عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ؟ وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره ؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجوز » .

ولما كان الميزان من العقبات التي تمر بها الأمة ويحتاج عندها بعض الناس إلى شفاعة الشافعين ، فإن الرسول محمداً ﷺ يحضر عند وزن الأعمال ليشفع لأمته .

فقد روى الترمذي[2] عن أنس رضي الله عنه قال : قلت :« يارسول الله اشفع لي يوم القيامة . قال : أنا فاعل ، قال : قلت : يارسول الله فأين أطلبك ؟ قال : اطلبني أولَ ماتطلبني على الصراط . قلت : فإن لم ألقَكَ على الصراط ؟ قال : فاطلبني عند الميزان . قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال : فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطىء هذه الثلاث مواطن » وإنما يحضر عند الميزان كما علمت ليشفع فيمن يأذن الله له في شفاعته بهم وله ﷺ شفاعات أخرى نذكرها في بحث الشفاعة .

روى أبو داود والترمذي[3] عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله

---

(١) راجع الترغيب والترهيب للمنذري (٤٢٤/٤) وقال رواه أبو داود من رواية الحسن عن عائشة والحاكم .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة باب ماجاء في شأن الصراط رقم ـ ٢٤٣٣ وقال حسن غريب .

(٣) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة باب رقم ـ ١١ ورقم الحديث ٢٤٣٥ وقال حسن صحيح غريب .

ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » .

واعلم أن الذي يوضع في الميزان هو صحائف الأعمال ، حيث يجعل الله لكل سيئة وزناً ، ولكل حسنة وزناً . وإن أثقل الحسنات وزناً هي : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

فقد روى الترمذي[١] عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله سيُخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعين سِجلاً كل سِجِلٍ مثل مد البصر . ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب . فيقول الله عز وجل : بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لاظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . ثم يقول : احضر وزنك . فيقول : يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : إنك لاتظلم ، فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت[٢] السجلات ، وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله تعالى شيء .

اللهم إني أستودعك يامن لا تضيع عنده وديعة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأسألك اللهم أن تميتني عليها وتبعثني عليها يا أرحم الراحمين .

يروى أنه توزن أعمال العبد فتنقصه حسنة واحدة حتى يثقل ميزان حسناته ، فيقول الله تعالى له : ياعبدي انظر في المحشر لعلك تجد من يعطيك حسنة . فيذهب ويأتي إلى أخيه فيقول : ياأخي أنت أخي وابن أمي وأبي ، ولقد نقصت حسناتي حسنة واحدة حتى ترجح ، أعطني حسنة واحدة أثقل بها

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب الإيمان باب ماجاء فيمن يموت وهو يشهد أن لاإله إلا الله رقم ـ ٢٦٣٩ وقال حسن غريب .

(٢) طاشت : خفت .

كفة حسناتي فيقول له أخوه : إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك ، فيتركه ويمضي . ثم يأتي أمه فيقول : ياأمي أنتِ أمي وأشفق الناس علي في الدنيا ، ولقد احتجت إلى حسنة واحدة أثقل بها كفة حسناتي لأنجو ، أعطيني حسنة واحدة ، فتقول : إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك ، وتتركه وتمضي . فيأتي إلى أبيه فيقول : ياأبي أنت أبي ولقد احتجت إلى حسنة واحدة أثقل بها كفة حسناتي لعلي أنجو ، أعطني حسنة واحدة حتى أنجو ، فيقول : إني أخشى مما تخشى منه أنت فلا أعطيك . ثم يذهب إلى زوجته فيقول : يازوجتي لقد أمضيت معك عمراً وشقيت من أجلك ، ولقد نقصني حسنة واحدة لأثقل بها كفة حسناتي لعلي أنجو ، ألا تعطيني حسنة واحدة ؟ فتقول إني أخشى مما تخشى منه أنت ، فلا أعطيك . ثم يذهب إلى ولده فيقول : ياولدي أنت ولدي ولقد شقيت من أجلك لتسعد وتعبت لتستريح ، ولقد نقصني حسنة واحدة لأثقل بها كفة حسناتي ألا تعطيني حسنة واحدة حتى أنجو ؟ فيقول إني أخشى مما تخشى منه أنت ، فلا أعطيك ، فيتركه ويمضي .

ثم يرجع إلى ربه خائفاً وجلاً ، حيث لم يأت بحسنة . وهؤلاء هم أهله وأقرب الناس صلة به لم يعطوه . فيقول :يارب ، لقد طلبت من أخي ، وأمي ، وأبي ، وزوجتي ، وولدي فلم يعطني أحد منهم حسنة واحدة .

فيقول الله تعالى له : أنا أرحم بك منهم . خذوه ياملائكتي إلى الجنة[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ يومَ يفِرُّ المرءُ من أَخيه * وأُمه وأَبيه * وصاحِبَتِه وبَنِيهِ * لِكلِّ امريءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه ﴾[٢] .

---

(١) أورده الحافظ بن كثير في تفسيره لسورة عبس رقم الآية ٣٣ ـ ٣٧ وقال الحديث عن عكرمة موقوف .

(٢) عبس : ٣٤ ـ ٣٧ .

ففكر ياأخي واعتبر . فهؤلاء أقرب الناس إليك ، ولدك الذي تشقى في سبيل إسعاده ، وتتعب في سبيل راحته وتؤثره على نفسك في الدنيا ، ولا ينفعك شيئاً ولا يعطيك حسنة واحدة ، ولربما كانت أكثر تلك السيئات بسببه . أمك التي هي أشفق إنسان عليك في الحياة ، لاتنفعك شيئاً ولا تعطيك حسنة واحدة ، أبوك الذي كان في الدنيا يغمرك بحنانه وعطفه ، لا ينفعك شيئاً ولا يعطيك حسنة واحدة . إذن فلا تؤثر حبهم على حب الله ، ولا طاعة الله . نعم : تجب طاعة الوالدين وغيرهم بالمعروف أما إذا أمروك بمعصية فإنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق .

قال الله تعالى :

﴿ ياأيها الناسُ اتَّقوا ربَّكم واخشَوا يوماً لايجزي والدٌ عن ولَدِهِ ولا مَوْلُودٌ هو جازٍ عن والدِه شيئاً إنَّ وَعدَ اللهِ حَقٌّ فلا تغُرنَّكم الحياةُ الدنيا ولا يَغرنكم باللهِ الغَرور ﴾[1] .

فاعمل ياأخي في مرضات من هو أرحم بك من أمك وزوجتك وولدك وأبيك ، ولا تغضب الله من أجلهم لترضيهم وتعصي الله في سبيل أن يتنعموا ، وعليك بتقوى الله لتكون من الفائزين يوم لايغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم يستعتبون ، وفقنا الله وإياك للعمل بما يرضيه وجعلنا من المخلصين .

☆ ☆ ☆

---

(١) لقمان : ٣٣ .

تطاير الصحف

لقد علمت فيما سبق أن الناس يوم القيامة يكونون ثلاثة أصناف : السابقون ، وأصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال .

فالسابقون : هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب فلا توزن لهم أعمال ولا يعطون كتاباً .

وأما أصحاب اليمين : فهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم

وأما أصحاب الشمال : فهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم . فمن أعطي كتابه بشماله فقد خاب وخسر .

فاعلم أنه بعد أن يفرغ الناس من الحساب والعرض على الله تطير الصحف فآخذ باليمين ، وآخذ بالشمال .

قال الله تعالى :

﴿ وإذا الصُحُفُ نُشِرت ﴾[1] .

وقال الله تعالى :

﴿ وكُلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائِرهُ في عُنُقِهِ ونُخرِجُ له يومَ القيامةِ كتاباً يلقاهُ منشوراً * اقرأ كِتَابَك كفى بنفسِك اليومَ عليك حَسِيباً ﴾[2] .

فإذا أخذ كل واحد كتابه فكلهم يقرءون سواء كانوا يقرءون في الدنيا أم لا . ومعنى قراءته : أي : يعرف فيه حسناته وسيئاته . وقد علمت أن تطاير الصحف من المواطن التي ينشغل فيها الإنسان عن أهله وأحبابه ولا يهمه إلا نفسه حيث

---

(١) التكوير : ١٠ .

(٢) الإسراء : ١٣ ، ١٤ .

ينتظر أن يقع كتابه بيمينه أم بشماله . فإن وقع بيمينه استبشر وفرح بالنجاة والفوز ، وإن وقع بشماله استيقن عندها العذاب والهوان .

قال الله تعالى :

﴿ فأما منْ أُوتِيَ كتابَهُ بيمينِه فيقولُ هآؤمُ اقرءوا كتابيه * إني ظَنَنتُ أنّي ملاقٍ حسابيه * فهُو في عيشةٍ راضيةٍ * في جنةٍ عاليةٍ ﴾[1] .

وهكذا الذي يعطى كتابه بيمينه يفرح ويأتي أصحابه ويقول : هاؤم اقرءوا كتابيه ، أي : انظروا إلى حسناتي وأعمالي ، كالطالب الذي يدرس وينجح آخر العام ويفوز بعلامات جيدة فإنه يأتي أهله فرحاً يقول : انظروا علاماتي وجلائي المدرسي . وإن كان الفرق كبيراً بين هذا وذاك .

وقال الله تعالى :

﴿ وأمّا مَنْ أُوتي كتابَهُ بشمَالِه فيقولُ ياليتني لم أوتَ كتابيه * ولم أدرِ ما حِسَابيه ياليتها كانت القاضية * ماأغنى عني ماليه * هَلكَ عني سُلطَانيه * خُذُوهُ فغلُّوه * ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾[2] .

وهكذا يقول من يعطى كتابه بشماله : يود أنه لم يعط كتاباً ، ويود أنه لم يبعث بل يبقى ميتاً . ويقول لصحبه ماأغنى عني ذلك المال الذي كنت مقدراً في الدنيا ومحترماً ومعظماً من أجله شيئاً ، ولم تكن لي حجة ولا معذرة للخلاص ، بل يتيقن العذاب ، وإنه لصائر إليه . فإذا رأى كتابه وتصفح مافيه يرى أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا مبينة فيه .

قال الله تعالى :

---

(١) الحاقة : ١٩ ـ٢٢ .

(٢) الحاقة : ٢٥ ـ ٣١ .

﴿ ووضِعَ الكتابُ فترى المجرمينَ مُشفقِينَ ممَّا فيه ويقُولونَ ياويلَتَنا مالِ هذا الكتابِ لايُغَادِرُ صَغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصَاهَا ووجَدُوا ماعَمِلُوا حاضِراً ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحداً ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ وكلُّ شيءٍ فعلُوهُ في الزُّبُرِ * وكَلُّ صَغيرٍ وكبيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴾[٢] .

وقال الله تعالى :

﴿ يومَ ندْعو كلَّ أُناسٍ بإمامِهم فَمَنْ أُوتي كتابَه بيمينِه فأولئكَ يقرءون كِتَابَهُم ولا يُظلَمُونَ فتيلاً ﴾[٣] .

وإن المنافقين ليأخذون كتبهم من وراء ظهورهم ، حيث تغل أيديهم إلى ظهورهم .

قال الله تعالى :

﴿ وأما منْ أُوتيَ كِتَابهُ وَرَاءَ ظَهرِهِ * فسوفَ يَدعُو ثُبوراً * ويَصلَى سَعيراً ﴾[٤] .

وبعد أن يعلم كل إنسان عمله في كتابه ، ويتبين الفائز من الخاسر ، عندها يمرون على الصراط فيقع في النار من يقع وينجو من ينجو . جعلنا الله وإياك من الناجين ومن أصحاب اليمين إن لم نكن من السابقين بمنه وكرمه إنه أكرم الأكرمين .

☆ ☆ ☆

---

(١) الكهف : ٤٩ .

(٢) القمر : ٥٢ ، ٥٣ .

الإسراء : ٧١ ـ فتيلاً : الخيط الذي يكون في فلق النواة .

(٤) الانشقاق : ١٠ ـ ١٢ .

المرور على الصراط

اعلم يا أخي نجانا الله وإياك من أهوال يوم القيامة ، أن من مشاهد يوم القيامة المخيفة ، والأهوال المفزعة التي ينسى فيها العبد أهله وذويه ، العبور على الصراط . وإن الصراط جسر على جهنم ممدود ، طوله ثلاثة آلاف عام ، ألف عام هبوط ، وألف عام صعود ، وألف عام استواء . وذكر ابن حجر في الفتح أن طوله خمسة عشر ألف عام ، وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف ، وأوله في الموقف وآخره عند مرج : أي : فضاء فيه درج يصعد عليه إلى باب الجنة .

واعلم أن الناس كلهم يمرون على الصراط بما فيهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وإن من أول من يجوز الصراط سيدنا محمد ﷺ ثم تجوز أمته من بعده ، ثم بقية الأمم . ولا يتكلم يومئذٍ أحد إلا الرسل وكلامهم : اللهم سلم سلم .

فقد روى البخاري[1] ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : « يُضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذٍ : اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليبُ مثل شوكِ[2] السَّعدان . هل رأيتم شوك السَّعدان ؟ قالوا : نعم . قال : فإنها مثل شوك السَّعدان ، غير أنه لا يعلم قدرَ عظمها إلا الله تعالى تخطِفُ الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل[3] ثم ينجو » .

روى مسلم والترمذي : أن عائشة تلت هذه الآية :

﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسمٰوات وبرزوا لله الواحد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية رقم ـ ١٨٢ من حديث طويل .

(٢) شوك السعدان : نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب راجع صحيح مسلم ١ ـ ١٦٥ .

(٣) يخردل : يخدش .

القهار ﴾(١) . قالت : يا رسول الله أين يكون الناس ، قال : على الصراط .

هذا وإن الناس متفاوتون في العبور على الصراط كل بحسب عمله . فمنهم من يمر كالبرق الخاطف ، ومنهم من يمر كالريح العاصف ، ومنهم من يمر كسرعة الطير ، ومنهم من يمر كالجواد السابق ، ومنهم سعياً ، ومشياً وحبواً وعلى وجوههم ، فعلى قدر استقامتهم على الصراط المعنوي في الدنيا : وهو الدين ؛ يكون المرور على الصراط الحسي يوم القيامة .

قال الله تعالى :

﴿ وإنِ مِنكُم إلاَّ وارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقضيًّا * ثم نَنَجِّي الذينَ اتَّقوا ونَذَرُ الظَّالمينَ فيها جثيّاً ﴾(٢) .

واعلم أنه ليس كل من يمر على الصراط يعذب أو يحس بشيء من حر النار . فالذين يمرون كلمح البصر ، أو كالبرق الخاطف لا يشعرون بشيء ، وإنما يكون مرورهم من فوق النار ومشاهدتهم لها بمثابة النعيم لهم حيث إنهم عندما يرون النار وعذابها وطبقاتها ولو لم يدخلهم الله الجنة لشعروا بالنعيم حيث إن الله نجاهم من النار .

قال الله تعالى :

﴿ إن الذينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا الحُسنَى أُولئِكَ عَنهـا مُبعدون * لا يَسمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُم في ما اشْتَهَتْ أنفُسهُم خَالِدُونَ ﴾(٣) .

جعلنا الله ممن سبقت له السعادة إنه سميع مجيب .

☆ ☆ ☆

---

(١) إبراهيم : ٤٨ .

(٢) مريم : ٧١ ، ٧٢ .

(٣) الأنبياء : ١٠١ ، ١٠٢ .

الشفاعة يوم القيامة ورحمة الله بعباده

اعلم ياأخي أولاً وقبل كل شيء أنه لا يمكن لأحد أن يشفع شفاعة عند الله إلا أن يأذن الله بها . ويلهمه الله بأن يشفع فيشفعه الله في من يشاء من عباده .

قال الله تعالى :

﴿ منْ ذَا الَّذي يَشفَعُ عِندَهُ إلا بإذنِه ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ يَومئذٍ لا تَنفَعُ الشفاعةُ إلا لمن أَذِنَ لهُ الرحمنُ ورضي له قولاً ﴾[٢] .

وقال الله تعالى مخبراً عن الرسل :

﴿ ولا يشفَعُونَ إلا لَمن ارتَضَى وهُم من خَشيتِه مُشفِقونَ ﴾[٣] .

والآيات في هذا المعنى كثيرة .

والشفعاء يوم القيامة هم : الرسل ، الشهداء ، العلماء ، الفقراء ، الملائكة . وإن رحمة الله أوسع من شفاعتهم كلها .

ومما لاشك فيه أن أعظم الناس شفاعة هو سيدنا محمد ﷺ وأعظمها المقام المحمود الذي تقدم وهو الشفاعة العظمى التي تنال جميع الخلائق ، كما أن له شفاعات أخرى خاصة بأمته .

فقد روى البخاري ومسلم[٤] عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ،

---

(١) البقرة : ٢٥٥ .

(٢) طه : ١٠٩ .

(٣) الأنبياء : ٢٨ .

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلاً رقم ـ ٣٢٦ .

بعد أن ذكر المقام المحمود : « ثم أخِر لربي ساجداً ، فيقول : يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تُعْطَهْ ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب أمتي أمتي . فيقول : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة بُرة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخِر ساجداً ، فيقال لي مثل الأولى ، فأقول : يارب أمتي أمتي . فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود إلى ربي فأفعل كما فعلت فيقال لي : ارفع رأسك مثل الأولى ، فأقول يارب أمتي أمتي ، فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار . فأنطلق فأفعل ، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، فيقال لي : يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول يارب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله . قال ليس ذلك لك ، أو قال : ليس ذلك إليك ، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : (لا إله إلا الله) . وفي هذا بيان على أنهم يعذبون على قدر أعمالهم ، ثم يشفع الله فيهم رسوله محمداً ﷺ حيث إنهم يخرجون من النار وعلى دفعات .

وروى البخاري[١] ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » .

وروى أبو داود والترمذي[٢] عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أمتي من يشفع في الواحد ، والاثنين ، والقبيلة ، والفئام وشفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته رقم ـ ٣٣٤ .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب صفة القيامة باب رقم ـ ١٢ ورقم الحديث ـ ٢٤٤٠ وقال حديث حسن .

وأما الشهداء : فإن الله يشفع الشهيد في سبعين من أهله وذويه .

فقد روى ابن ماجه والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الشهيد يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويزوج حوراوين ، ويشفع في سبعين من أهل بيته » .

وأما العلماء : فإن الله يشفعهم فيمن كانوا سبب هدايته في الدنيا حيث يقول الله تعالى لهم : انظروا من كنتم سبب هدايته فأدخلوه الجنة معكم .

وأما الفقراء : فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « اتخذوا عند الفقراء أيادي فإن لهم دولة يوم القيامة قالوا : وما دولة الفقراء يارسول الله ؟ قال : يقال انظروا من أطعمكم كسرة أو كساكم ثوباً ، فخذوه وأدخلوه الجنة معكم »[١] .

وأما الملائكة : فقد قال الله تعالى :

﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ في السموات لاتُغني شَفَاعتُهم شيئاً إلا مِنْ بعدِ أن يَأذنَ الله لمن يشاءُ ويرضى ﴾[٢] .

وأما رحمة الله : فإنها رحمة واسعة شاملة .

قال الله تعالى :

﴿ وَرَحمَتِي وسِعَت كَلَّ شيء فَسَأَكتُبُهَا للذين يتقونَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ والذين هُم بآياتِنا يؤمنونَ ﴾[٣] .

وقال الله تعالى :

---

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير قال المناوي(١ ـ ١١٣)وسنده ضعيف .

(٢) النجم : ٢٦ .

(٣) الأعراف : ١٥٦ .

﴿ قُل ياعِبَادِيَ الذينَ أسرَفُوا على أنفُسِهم لا تَقْنَطُوا من رحمةِ اللهِ إنّ اللهَ يَغفرُ الذُّنُوبَ جميعاً إنه هو الغفورُ الرحيمُ ﴾[١] .

وروى البخاري ومسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلِبُ غضبي » وفي رواية : غلبت وسبقت غضبي .

وروى البخاري ومسلم[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه » .

وفي رواية لمسلم[٤] : « إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطِفُ الوحش على ولدها ، وأخّر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » .

فإذا رحم الله العباد تلك الرحمة الشاملة ، فإنها تصيب كل من قال : لا إله إلا الله .

وعندها يتطاول لها إبليس رجاء أن تناله لما يرى من شمولها .

وروى البخاري ومسلم[٥] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ بسبي ، فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبياً في السبي ، أخذته

---

(١) الزمر : ٥٣ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه رقم ـ ٢٧٥١ .

(٣) أخرجه مسلم كتاب التوبة باب في رحمة الله تعالى رقم ـ ٢٧٥٢ .

(٤) أخرجه مسلم كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى رقم ـ ١٩ .

(٥) أخرجه مسلم كتاب التوبة باب سعة رحمة الله تعالى رقم ٢٧٥٢ .

فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله ﷺ : « أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار » ؟

فقلنا : لا .

فقال : « الله أرحم بعباده من هذه بولدها » .

فعليك ياأخي بطاعة الله لتفوز برحمته ، ولا تغتر بسعة رحمة الله فإن كنت تطلب رحمة الله فاسلك سبيلها ، والتمس مواطنها . فقد أوضح سبيلها القرآن الكريم إذ يقول تعالى :

﴿ ورحمتي وسِعت كَلَّ شيءٍ فسأكتُبها للذينَ يتقون ويؤتون الزكاة والذين هُم بآياتِنا يُؤمنون * الذين يتَّبِعُون الرسول النبيَّ الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحلُّ لهم الطيبات ويحرمُ عليهم الخبائِث ويضعُ عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزِل معه أولئكَ هم المفلِحُون ﴾[1] .

وروى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

فهذا هو سبيل الرحمة لمن سلكه . أما أن تطلب رحمة الله من غير عمل فإن هذا غرور .

فقد جاء في الحديث القدسي عن الله تبارك وتعالى قال :

---

(١) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ .

« ياعبدي مـا أقل حيـاؤك تطلب رحمتي وتبخل علي بطـاعتي ، فكيف أجود برحمتي على من يبخل علي بطاعتي » .

اللهم ارحمنا ياأرحم الراحمين .

☆ ☆ ☆

النار وعذابها

اعلم ياأخي أجارنا الله وإياك من النار : أن النار دار عذاب الله أعدها الله للكافرين والمنافقين وبعض العصاة .

ولقد حذر الله سبحانه وتعالى منها في كثير من آيات القرآن ، فقال الله تعالى :

﴿ ياأيها الذينَ آمنُوا قُوا أنفُسَكُم وأهليكُم ناراً وقُودُها النَاسُ والحجارةُ عليها مَلائِكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعصُونَ الله ما أَمَرَهُم ويَفعلُونَ ما يُؤمَرونَ ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ فاتَّقُوا النارَ التي وَقودُها الناسُ والحِجارةُ أُعدّت للكافِرين ﴾[٢] .

ولقد علمت فيما سبق أنه يجاء بجهنم يوم القيامة ولها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها .

قال الله تعالى :

﴿ وبُرِّزَتِ الجحيمُ لمن يرى ﴾[٣] .

وقال الله تعالى :

﴿ إذا رَأَتهم مِنْ مكانٍ بعيدٍ سمِعُوا لها تَغَيُّظاً وَزَفيراً * وإذا أُلقُوا منها مكاناً ضيّقاً مُقرَّنينَ دَعَوْا هُنالك ثُبُوراً * لاتدعوا اليومَ ثبوراً واحداً وادعوا ثُبُوراً كثيراً ﴾[٤] .

---

(١) التحريم : ٦ .

(٢) البقرة : ٢٤ .

(٣) النازعات : ٣٦ .

(٤) الفرقان : ١٢ ـ ١٤ .

واعلم ياأخي أن النار سبع طبقات كل طبقة أشد عذاباً من الأخرى وإن لكل طبقة منها أهل على حسب أعمالهم وكفرهم .

قال الله تعالى :

﴿ وإنَّ جَهَنَمَ لموعِدهُم أجمعينَ * لها سَبْعَةُ أبوابٍ لكلِ بابٍ منهم جزءٌ مقسومٌ ﴾[١] .

وهي : جهنم ، لظى ، الحطمة ، السعير ، سقر ، الجحيم ، الهاوية ، أجارنا الله منها .

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم بعض الأعمال التي توجب دخول كل منها أذكرها لك حتى تتجنبها لئلا تكون من أهل تلك الطبقات :

أولاً : جهنم ـ ذكر لنا القرآن أنها أعدت للكافرين .

قال الله تعالى :

﴿ إنَّا أعتَدنا جَهنم للكافرينَ نُزُلاً ﴾[٢] .

وقال الله تعالى :

﴿ وسيق الذين كفرُوا إلى جهنمَ زُمراً ﴾[٣] .

ثانياً: لظى ـ ذكر القرآن أنها لمن لايشكرون عند الرجاء ولا يصبرون عند البلاء ، ويمنع حق المال ويتولى ويعرض عن الحق فإن له لظى .

قال الله تعالى :

---

(١) الحجر : ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) الكهف : ١٠٢ .

(٣) الزمر : ٧١ .

﴿ كلا إنها لظى * نزاعةً للشوى * تدعُو مَنْ أدبرَ وتولى * وجمعَ فأوعى * إن الإنسان خُلِقَ هَلوعاً * إذا مسّه الشرُّ جزوعاً وإذا مسّهُ الخيرُ مَنوعاً * إلاّ المصلِّينَ ﴾(١) .

ثالثاً : الحطمة ـ ذكر القرآن أنها للنمامين المغتابين ، والذين يجمعون المال ويمنعون حقوقه من زكاة ونحوها .

قال الله تعالى :

﴿ ويلٌ لكلِ همزةٍ لمزةٍ * الذي جمعَ مالاً وعدّده * يحسبُ أنَّ مالهُ أخْلَدَهُ * كلا ليُنبذَنَّ في الحُطَمَةِ * وما أدراكَ ما الحُطَمَة * نارُ الله الموقدة * التي تَطَّلِعُ على الأفئدة * إنها عليهم مؤصدةٌ * في عَمَدٍ مُمدَّدةٍ ﴾(٢) .
تعالى :

رابعاً : السعير ـ وهي لمنكري البعث والحساب .

قال الله تعالى :

﴿ وأعتدنَا لَمن كذَّبَ بالساعةِ سَعيراً ﴾(٣) .

وقال الله تعالى :

﴿ وأعتدنا لهم عَذابَ السَّعيرِ * وللذينَ كَفَرُوا بِربهم عذابُ جهنم وبئس المصير ﴾(٤) .

خامساً : سقر ـ ولقد ذكر لنا القرآن الكريم عدة أعمال توجب دخول سقر

(١) المعارج : ١٥ ـ ٢٢ .
(٢) سورة الهمزة .
(٣) الفرقان : ١١ .
(٤) الملك : ٥ ، ٦ .

وأجمع الآيات قوله تعالى :

﴿ إلا أصحَابَ اليمِينِ * في جَنَّاتٍ يتسـاءَلُونَ * عن المجرمِينَ * مـاسَلَكَكُم في سَقَرٍ * قـالـوا لم نـكُ من المصلِّينَ * ولم نَـكُ نُطعِمُ المسكين * وَكُنَّـا نخوضُ مـع الخائضين * وكنا نكَذِّبُ بيومِ الـدينِ * حتى أتـانـا اليقين[1] * فما تَنفعُهُم شَفـاعـةُ الشَّافِعِينَ ﴾[2] .

سادساً : الجحيم ـ وهي للمتكبرين المتعززين في الدنيا .

قال الله تعالى :

﴿ خُـذُوهُ فـاعتِلـوهُ إلى سـواءِ الجَحيم * ثُمَّ صبُّـوا فـوقَ رَأْسِـهِ من عـذابِ الحَمِيم * ذُق إنكَ أنتَ العزيزُ الكريمُ ﴾[3] .

وقال الله تعالى :

﴿ وأمـا إنْ كَـانَ مِنَ المكـذِّبِينَ الضَّـالِينَ * فنُـزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وتصلِيـةُ جَحيم ﴾[4] .

سابعاً : الهاوية ـ وهي أسفل طبقات النار ـ وهي للمنافقين .

قال الله تعالى :

﴿ وأما مَنْ خَفَّتْ مـوازِينُـهُ * فـأُمُّـهُ هـاويـة * وما أدراكَ مـا هيـه * نـارٌ حامِيةٌ ﴾[5] .

---

(١) اليقين : الموت .
(٢) المدثر : ٣٩ ـ ٤٨ .
(٣) الدخان : ٤٧ ـ ٤٩ .
(٤) الواقعة : ٩٢ ـ ٩٤ .
(٥) القارعة : ٨ ـ ١١ .

وقال الله تعالى :

﴿ إنَّ المنَافِقِينَ في الدَّركِ الأسفلِ مِنَ النارِ ولَنْ تَجِدَ لهم نصيراً ﴾[١] .

فهذه هي طبقات النار ، وهـذه هي بعض الأعمـال التي توجب دخولهـا إن لم يتب صاحبها منها .

وأما حرها وعمقها ، فإن حرها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامعهـا من حـديـد كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

حرها : روى الإمام أحمد وأصحاب السنن[٢] وصححـه الحـاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « نـاركم التي توقـدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قـالوا : والله إن كانت لكافيـة . قـال : فـإنهـا فضلت عليهـا بتسعة وتسعين جزءاً كلها مثل حرها » .

وروى مالك والترمذي[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ : « أوقـد على النـار ألف سنـة حتى احمرت ، ثم أوقـد عليهـا ألف سنـة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة » .

وروى البخاري ومسلم والترمذي[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضاً ، فـأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فهو أشد ماتجدون من الحر ، وأشـد ما تجدون من الزمهرير » .

---

(١) النساء : ١٤٥ .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم باب رقم ـ ١ رقم الحديث ـ ٢٥٨٩ وقال حسن صحيح .

(٣) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم باب رقم ـ ٨ رقم الحديث ٢٥٩١ قال الترمذي هـذا حـديث موقوف أصح .

(٤) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم باب ماجاء أن للنار نفسين رقم ٢٥٩٢ وقال حسن صحيح .

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ نارُ جهنمَ أشدُّ حَرّاً لو كانُوا يَفقَهُونَ ﴾[١] .

عمقها : روى مسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، إذ سمع وجبة فقال : « هل تدرون ماهذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال هذا حَجَرٌ رُمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها فسمعتم وجبتها » .

وروى الترمذي[٣] عن عتيبة بن غزوان رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : « إن الصخرة العظيمة لتُلقى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عاماً وما تفضي إلى قرارها » .

وروى الترمذي[٤] أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ويل وادٍ في جهنم يهوي فيها الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها » .

☆ ☆ ☆

---

(١) التوبة : ٨١ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب في شدة حر جهنم رقم ٢٨٤٤ .

(٣) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة قعر جهنم رقم ٢٥٧٥ .

(٤) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن سورة الأنبياء رقم ـ ٣١٦٤ وقال غريب .

أحوال أهل النار وعذابهم

لقد علمت فيما تقدم أن بعض أهل النار من تنطوي عليهم النار وتجرهم إليها . ومنهم من يساقون إلى النار سوقاً وهم مكبلون بالسلاسل والأغلال تسوقهم الزبانية .

قال الله تعالى :

﴿ وَسِيقَ الذينَ كفرُوا إلى جهنمَ زمراً ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ إذ الأغلالُ في أعناقِهم والسلاسلُ يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾[٢] .

وهؤلاء يساقون جماعات جماعات . ومنهم من يساقون مثنى مثنى .

قال الله تعالى :

﴿ وترى المجرمينَ يومئذٍ مقرَّنين في الأصفادِ * سرابيلهُم من قَطِرانٍ وتغشى وجُوهَهُم النارُ ﴾[٣] .

ومنهم من يؤخذون فرادى ويقذفون في النار .

قال الله تعالى :

﴿ يُعرفُ المجرِمُونَ بسيمَاهُم فَيُؤْخَذُ بالنواصِي والأقدام ﴾[٤] .

---

(١) الزمر : ٧١ .

(٢) غافر : ٧١ ، ٧٢ .

(٣) إبراهيم : ٤٩ ، ٥٠ .

(٤) الرحمن : ٤١ .

وهكذا تأخذه الملائكة الغلاظ الشداد ، من ناصيته وقدميه فتطويه ثم تقذفه في النار .

وقال الله تعالى :

﴿ خُذُوهُ فغلُّوهُ * ثمَّ الجحيمَ صلُّوهُ * ثم في سلسِلةٍ ذَرعُها سبعونَ ذِراعاً فاسلكُوهُ ﴾[1] .

يروى لو أن حلقة من تلك السلاسل ظهرت إلى الدنيا لأحرقت الدنيا بما فيها .

واعلم أن الملائكة الموكلون بالنار لم يخلق الله في قلوبهم ذرة شفقة ، عابسو الوجوه منذ خلقهم الله تعالى ماضحكوا ، ولقد وصفهم الله تعالى بأنهم :

﴿ غِلاظٌ شِدادٌ لايعصون الله ما أمرهم ويفعلونَ مايُؤمرونَ ﴾[2] .

وبأيديهم مقامع الحديد يضربون بها أهل النار حيث إنهم بعد أن يقذفوا في النار يرفعهم توهج النار حتى يكادوا يخرجون منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها أعواماً حتى ينتهوا إلى قعرها وهكذا .

قال الله تعالى :

﴿ يُصبُّ من فَوقِ رُءُوسِهم الحَميمُ * يُصهَر بِهِ مافي بُطُونِهم والجُلُودُ * ولهم مَقَامِعُ من حَديد ﴾[3] .

وقال الله تعالى :

---

(١) الحاقة : ٣٠، ٣١ .

(٢) التحريم : ٦ .

(٣) الحج : ١٩ - ٢١ .

﴿ وأما الذينَ فسَقُوا فمأواهُم النارُ كلما أرادُوا أن يخْرجُوا منها أُعِيدُوا فيها وقِيلَ لهم ذُوقُوا عذابَ النارِ الذي كنتم به تُكَذّبونَ ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ كُلّما أَرادُوا أَنْ يَخرجُوا منها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فيها وذُوقُوا عَذابَ الحريق ﴾[٢] .

فهذا حالهم فيها . وأما طعامهم وشرابهم وثيابهم فكله عذاب وإليك بيان ذلك :

ثيابهم :

إن ثياب أهل النار في النار صفائح النحاس المحمي في النار .

قال الله تعالى :

﴿ فالذينَ كَفَرُوا قُطّعَت لهم ثِيابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ من فوقِ رُءُوسِهِمُ الحَميم * يُصْهَرُ به مافي بُطُونِهِم والجُلُودُ * ولهم مَقَامِعُ من حَدِيدٍ ﴾[٣] .

وقال الله تعالى :

﴿ سرَابيلُهم من قَطرانٍ وتَغْشى وجُوهَهُم النَّارُ ﴾[٤] .

طعامهم :

وأما طعام أهل النار فهو الزقوم والضريع .

قال الله تعالى :

---

(١) السجدة : ٢٠ .

(٢) الحج : ٢٢ .

(٣) الحج : ١٩ ـ ٢١ .

(٤) إبراهيم : ٥٠ .

﴿ إنَّ شجرةَ الـزَّقُّـومِ * طعـــامُ الأثيم * كالمُهـلِ يغلي في البُطُـونِ * كغلي الحَميم ﴾[١] .

وقال الله تعالى مبيناً شجرة الزقوم هذه وأين تكون وكيف ثمرها :

﴿ أذَلكَ خَيرٌ نُزُلاً أم شَجَرة الزَّقُوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * إنها شجرةٌ تَخرُجُ في أَصلِ الجحيم * طلعُها كأنهُ رءوسُ الشياطينِ * فإنهم لآكلونَ منها فمالئونَ منها البطونَ ﴾[٢] .

وقال الله تعالى :

﴿ ثُمَّ إنكم أيها الضَّالونَ المكذِّبُونَ * لآكلونَ مِن شجرٍ من زقومٍ * فمالئونَ منها البطونَ ﴾[٣] .

وروى الترمذي[٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرةً من الزقوم قُطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايِشهَم فكيف بمن يكون طعامه » .

قال الله تعالى :

﴿ ليسَ لهم طعامٌ إلا من ضريعٍ * لايُسمِنُ ولا يُغني من جوع ﴾[٥] .

والضريع نوع من الشوك تأكله الإبل .

شرابهم :

---

(١) الدخان : ٤٣ ـ ٤٦ .

(٢) الصافات : ٦٢ ـ ٦٦ .

(٣) الواقعة : ٥١ ـ ٥٣ .

(٤) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم باب ماجاء في صفة شراب أهل النار رقم ـ ٢٥٨٥ وقال حسن صحيح .

(٥) الغاشية : ٦ ، ٧ .

وأما شراب أهل النار فهو الحميم والصديد . فالحميم ماء يغلي في مكانه .

قال الله تعالى :

﴿ يَطُوفُونَ بينها وبين حَمِيمٍ آنٍ ﴾[١] .

وأما الصديد فهو عصارة أهل النار أي : مايسيل منهم من أقذار يتجمع في مكان ويسقون منه ، فإنهم به يعذبون ، ومما يعذبون به الجوع ، فيشتد بهم الجوع ، فيستغيثون يريدون طعاماً ، فيؤتون بالزقوم ، أو الضريع فيأكلون منها لشدة مايجدون من الجوع ، فإذا أكلوا منها وقف في حلق آكله ولا يستطيع إساغته .

قال الله تعالى :

﴿ إنَّ لدينا أنكالاً وجَحِيماً * وطَعَاماً ذا غُصَّةٍ وعذاباً أليماً ﴾[٢] .

فعندها يستغيثون يطلبون ماء ليدفعوا به الطعام كشأنهم في الدنيا ، فيؤتون بالحميم ، أو الصديد فيدنيه من فيه ليشرب من شدة الظمأ وليدفع غصته ، فإذا أدناه من فيه وقرب من وجهه أسقط جلدة وجهه في الإناء من شدة حره .

قال الله تعالى :

﴿ وإن يستغيثُوا يُغاثُوا بماءٍ كالمُهْلِ يشوي الوجوهَ بِئْسَ الشرابُ وساءَتْ مُرتَفَقاً ﴾[٣] .

وقال الله تعالى :

---

(١) الرحمن : ٤٤ .

(٢) المزمل : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الكهف : ٢٩ .

﴿ من ورائِه جهنمُ ويُسقى من ماءٍ صديـدٍ * يتجرّعُـهُ ولا يكادُ يُسيغُـهُ ويأتيه الموتُ من كلّ مكانٍ وما هو بميتٍ ومن ورائِهِ عذابٌ غليظ ﴾[١] .

فإذا شرب من الحميم أو الصديد ونزل في جوفه أخرج أمعاءه من دبره .

قال الله تعالى :

﴿ كَمَنْ هو خَالدٌ في النارِ وسُقُوا ماءً حميماً فَقَطّع أمعاءَهُم ﴾[٢] .

فهذا هو شرابهم ، كما يصب عليهم فيصهرهم .

قال الله تعالى :

﴿ يُصب من فوقِ رُءُوسِهم الحَميم * يُصْهَرُ بـه مـافي بُطونِهم والجلودُ * ولهم مقَامِعُ من حَدِيد ﴾[٣] .

وروى الترمذي[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفـذُ حتى يخلصَ إلى جوفـه فيسلت مـافي جوفـه حتى يمرق من قدميه وهو الصَّهر ثم يعاد كما كَان » .

واعلم أن الكفار في النار تعظم أجسامهم ليتحملوا العـذاب حتى يكون مـابين منكبي أحدهم مسيرة ثلاثة أيام وضرسه كالجبل وسمك جلده سبعين ذراعاً .

روى مسلم والترمذي[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : : قـال رسول الله ﷺ : « ضرس الكافر مثـل أحـد ، وغلـظ جلـده مسيرة ثـلاث وكلمـا تنضـج جلودهم يبدلهم الله غيرها » .

---

(١) إبراهيم : ١٦ ، ١٧ .

(٢) محمد : ١٥ .

(٣) الحج : ١٩ ـ ٢١ .

(٤) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم رقم ـ ٢٥٨٢ وقال حسن صحيح .

(٥) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم رقم ـ ٢٥٧٨ وقال حسن .

قال الله تعالى :

﴿ إنَّ الذينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا سَوْفَ نُصليهم ناراً كُلَّمَا نَضِجَت جُلُودُهم بَدَّلنَـاهُم جُلُوداً غَيرَها ليذُوقُوا العذابَ ﴾[١] .

وأن النار محيطة بهم من كل جهة ، من أمـامهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمـانهم وعن شمائلهم ، ومن فوقهم ، ومن تحتهم .

قال الله تعالى :

﴿ إنها عليهِمْ مُؤصدَةٌ ﴾[٢] . أي : مغلقة .

وقال الله تعالى :

﴿ إنَّا أعتدنا للظالمينَ ناراً أحَاطَ بهم سُرَادِقُهَا ﴾[٣] .

وروى الترمذي[٤] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « لِسُرادِقِ النار أربعُ جُدُرٍ كِثَف كل جدار مسيرة أربعين سنةٍ » .

وقال الله تعالى :

﴿ يـومَ يَغشَـاهُم العَـذَابُ من فـوقِهِم ومن تَحتِ أرجُلِهِم ويقـولُ ذُوقُـوا مـا كُنتُم تَعمَلُونَ ﴾[٥] .

وقال الله تعالى :

---

(١) النساء : ٥٦ .

(٢) الهمزة : ٨ .

(٣) الكهف : ٢٩ .

(٤) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم رقم ـ ٢٥٨٤ وقال سنده ضعيف .

(٥) العنكبوت : ٥٥ .

﴿ لهم من فَوقِهم ظُلَلٌ من النَّارِ ومن تَحتِهِم ظُلَل ذلك يخوفُ اللهُ به عبـادَهُ ياعِبَادِ فاتَّقُونِ ﴾[١] .

كما يروى أن في النار حيات وعقارب كأمثال الإبل والبغـال إذا لـدغت الكافر يجد ألمها أربعين عاماً ، هذا وإن لهم في النـار صراخـاً وعويلاً ، ومجـادلات حيث يلقي بعضهم على بعض اللـوم كل يقـول لصـاحبـه أنت الـذي أرديتني كما يـدعـو بعضهم على بعض .

وقال الله تعالى :

﴿ وهم يَصْطَرِخُونَ فيهـا ربَّنـا أَخْرِجنـا نَعْمَلْ صَـالِحـاً غَيْرَ الـذي كنَّـا نَعمَل ﴾[٢] .

قال الله تعالى :

﴿ لهم فيها زفيرٌ وهم فيها لايسمَعُونَ ﴾[٣] .

أما إلقاء اللوم على بعضهم البعض فقد قال الله تعالى :

﴿ هذا فوجٌ مُقتَحِمٌ معكم لا مَرحَبـاً بهم إنهم صَـالُوا النـارِ * قـالوا بل أنتم لا مَرحَباً بكم أنتُم قدّمتموه لنا فبئس القرارِ * قالوا رَبَّنَـا مَنْ قَـدَّمَ لنـا هـذا فَزِدْهُ عَذَاباً ضعفاً في النارِ ﴾[٤] .

قال الله تعالى :

﴿ إنَّ ذلكَ لَحقٌ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾[٥] .

---

(١) الزمر : ١٦ .
(٢) فاطر : ٣٧ .
(٣) الأنبياء : ١٠٠ .
(٤) ص : ٥٩ ـ ٦١ .
(٥) ص : ٦٤ .

هذا ولما كان أكثر الناس تبعاً لسادتهم وكبرائهم . وأكثرهم ضالون مضلون فإن أكثر اللوم يتوجه إليهم من أتباعهم .

قال الله تعالى :

﴿ يومَ تقلّبُ وجُوهُهم في النـار يَقُولُـونَ يـاليتَنَـا أطَعنَـا الله وأطعنـا الرَّسُولا * وقالوا رَبَّنَا إنَّا أطَعنَا سَادَتَنَا وكُبَرَاءَنَا فأضَلُّونَـا السَّبِيلاَ * ربنـا آتهم ضِعفَينِ من العَذَابِ والعَنْهُم لَعْناً كَبِيراً ﴾[1] .

وقال الله تعالى :

﴿ وإذ يتحاجُّونَ في النارِ فَيقُولُ الضُّعَفَاءُ للذينَ استَكبَرُوا إنَّا كُنَّا لكم تَبَعاً فهل أنتم مُغنونَ عَنَّا نصيباً من النـارِ * قَالِ الـذينَ اسْتكبَرُوا إنَّـا كُلٌّ فيهـا إن الله قد حَكَمَ بينَ العِبَادِ ﴾[2] .

وإنهم بعد طول العـذاب وتواصلـه لم يفتر عنهم لحظـة واحـدة ينـادون خزنـة النار يريدون الموت وأنى لهم الموت .

وقال الله تعالى :

﴿ والذين كفروا لهم نارُ جهنمَ لا يُقضى عليهم فَيَمُوتُوا ولا يخفّفُ عنهم من عَذَابِها كذلِكَ نَجزِي كلَّ كَفُورٍ ﴾[3] .

فلا تجيبهم خزنة النار إلا بعد ألف عام ، يجيبهم مالك : إنكم ماكثون .

ثم قال الله تعالى :

﴿ ونَادَوْا يامالكُ ليقْضِ علينا ربُكَ قَالَ إنكُم مَاكِثُونَ * لقد جِئْنَاكُم بـالحقّ

---

(١) الأحزاب : ٦٦ ـ ٦٨ .

(٢) غافر : ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) فاطر : ٣٦ .

ولكنّ أكثَركُم للحقّ كارِهُونَ ﴾[١] .

وبعد أن ييأسوا من الموت ويتيقنوا أنه لاموت ، ينادون يطلبون تخفيف العذاب يوماً واحداً فلا يخفف عنهم .

قال الله تعالى :

﴿ وقالَ الذين في النارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّم ادعُوا رَبَّكُم يُخفف عنّا يوماً من العذابِ * قالوا أو لم تكُ تأتيكم رسُلُكُم بالبيِّناتِ قالوا بلى قالوا فادعوا وما دُعاءُ الكافرين إلا في ضَلاَلٍ ﴾[٢] .

ثم يقول بعضهم لبعضٍ : اصبروا فإن الصبر في الدنيا يعقبه الفرج ، فلا ينفعهم صبرهم شيئاً فيقولون :

﴿ سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ﴾[٣] .

ثم يقولون لبعضهم البعض : إن هؤلاء خزنة النار ليس بأيديهم شيء ولا يرحمونا فلندع ربنا لعله يرحمنا فينادون :

﴿ ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين * ربنا أخرجْنَا منها فإن عُدنا فإنا ظالمون * قال اخسأوا فيها ولا تُكلمون ﴾[٤] .

فعندها ييأسون ، وكلما طال عليهم الزمن يزداد العذاب ويتضاعف حر النار ، حيث إنها تتقد بهم وبأصنامهم أو حجر الكبريت .

قال الله تعالى :

---

(١) الزخرف : ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) غافر : ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) إبراهيم : ٢١ .

(٤) المؤمنون : ١٠٦ ـ ١٠٨ .

﴿ إنكم وما تعبدونَ من دُونِ اللهِ حَصَبُ جهنمَ أنتم لها وارِدُونَ ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ الذينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عن سبيلِ اللهِ زِدنَاهُم عِذَاباً فوقَ العذابِ بما كانوا يُفسِدُون ﴾[٢] .

وهكذا يخلدون في النار،والعذاب متواصل لايفتر .

قال الله تعالى :

﴿ إنَّ المجرِمينَ في عَذَابِ جَهنَّم خَالِدُونَ * لا يفتَّرُ عنهم وهم فيه مُبلِسُون ﴾[٣] .

ولهم في النار زفير وشهيق ، وتندلع ألسنتهم أكثر من عشرة كيلو مترات تطؤها الناس .

قال الله تعالى :

﴿ فأمَّا الذينَ شَقُوا ففي النارِ لهم فِيها زَفيرٌ وشَهِيق ﴾[٤] .

وروى الترمذي[٥] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الكافر ليُسحبُ لسانُه في النار الفرسخَ والفرسخين تطؤهُ الناس » وهكذا يندلع لسانه ويلهث كالكلب إذا اشتد عليه الحر .

وروى البخاري ومسلم[٦] والترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال :

---

(١) الأنبياء : ٩٨ .

(٢) النحل : ٨٨ .

(٣) الزخرف : ٧٤ ، ٧٥ .

(٤) هود : ١٠٦ .

(٥) أخرجه الترمذي كتاب صفة جهنم رقم ٢٤٨٠ وقال غريب .

(٦) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب أهون أهل النار عذاباً رقم ـ ٣٦٤ .

قال رسول الله ﷺ : « أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرْجَلُ[١] ، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً » .

فاعلم ياأخي أن هذا هو العذاب الذي أعده الله للكافرين والمنافقين .

وأما عصاة هذه الأمة فكل يعذب على قدر إجرامه ، فمنهم من يعذب بالمرور على الصراط ، وهم أكثر العصاة ، وأما مرتكبو الكبائر وتاركو الفرائض . الذين ماتوا على ذلك الحال من غير توبة فإنهم يعذبون في النار عذاباً طويلاً فقد يبلغ ألوف السنين إلا أنهم لايخلدون في النار خلوداً أبدياً ، بل يخرجون من النار إما بشفاعة الرسول ﷺ أو برحمة الله الذي قضى على نفسه ألا يخلد في النار من قال : لا إله إلا الله .

وقد مر ذلك في ذكر الشفاعة . فإذا أخرج المسلمون من النار ، عندها يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين حتى يخرجوا مثلهم . قال الله تعالى :

﴿ رُبَمَا يودُّ الذين كَفَروا لوْ كانُوا مُسْلمينَ ﴾[٢] .

وبعد خروج العصاة من النار ودخولهم الجنة يجاء بالموت في صورة كبش أملح ويذبح بين الجنة والنار . وينادى ياأهل الجنة خلود فلا موت وياأهل النار خلود فلا موت .

روى البخاري ومسلم[٣] والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، فيذبح . ثم ينادي منادٍ : ياأهل الجنة خلود

---

(١) المرجل : القدر .

(٢) الحجر : ٢ .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الجنة باب النار يدخلها الجبارون رقم ٤٣ .

فلا موت . ويأأهل النـار خلود فلا موت . فيزداد أهل الجنـة فرحـاً إلى فرحهم ، وأهل النار حُزناً إلى حُزنهم » .

وهكذا يخلد الكفار والمنافقون في النار خلوداً أبدياً إلى مالا نهاية .

قال الله تعالى :

﴿ كأنّما أُغشِيت وجُوهِهمُ قِطعاً من الليل مُظلِماً أولئك أصحابُ النارِ هم فيها خَالدُونَ ﴾[1] .

فهذه هي النار ، وهذا عذابها الشديد ، وهـذا عـذابهـا الأليم ، فخلص نفسـك يأأخي واشترِ نفسك من النار بالأعمـال الصـالحـة ، وتجنب محـارم الله ومعـاصيـه لتكون من الناجين منها يوم القيامة .

وهـــل يطيـــق خلـــوداً في لظى بشر
من نطفـــة أصلهـــا المسكين صلصـــال

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك ، ونعوذ بمعافاتك من عقوبتـك ونعوذ بـك منك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

إلهي لست للفردوس أهـــــــــــلا
ولا أقـــــوى على نـــــــار الجحيم
فهب لي تـــوبـــــة واغفر ذنـــوبي
فـــإنـــك غـــافر الـــذنب العظيم

---

(١) يونس : ٢٧ .

قال الله تعالى :

﴿ يَوَدُّ المجرِمُ لو يَفتَدِي من عَذَاب يومِئذٍ ببنِيهِ * وصاحِبَتِه وأخِيهِ * وفَصِيلتِهِ التي تؤوِيهِ * وَمَنْ في الأَرض جَميعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلاَّ ﴾[١] .

☆ ☆ ☆

(١) المعارج : ١١ ـ ١٥ .

الجنة ونعيمها

الجنــة هي دار النعيم التي أعـدهـا الله تعـالى لعبـاده المـؤمنين ، والمتقين ، والأبرار ، جزاء إيمانهم الصادق وعملهم الصالح في الدنيا ، وجزاء مجاهدتهم لأنفسهم في ترك المعاصي والمحرمات :

قال الله تعالى :

﴿ وتِلكَ الجنةُ التي أُورِثتُمُوهَا بما كنتُم تَعْمَلونَ ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ تِلكَ الجنةُ التي نُورِث مِنْ عِبادِنَا مَنْ كَانَ تقيّاً ﴾[٢] .

وقال الله تعالى :

﴿ إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ ﴾[٣] .

وقال الله تعالى :

﴿ وجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وحَرِيراً ﴾[٤] .

ولقـد رغب الله تعـالى فيهـا وحث المؤمنين على العمل من أجلهـا فقـال جـل شأنه :

﴿ سَابِقُوا إلى مَغفرةٍ من ربكم وجنـةٍ عرضُهـا كَعَرضِ السماء والأرضِ أُعِدّت

(١) الزخرف : ٧٢ .
(٢) مريم : ٦٣ .
(٣) المطففين : ٢٢ .
(٤) الإنسان : ١٢ .

للـذين آمنـوا بـالله ورُسُلـه ذلـك فَضـلُ اللهِ يَـؤْتيـه من يشـاءُ واللهُ ذُو الفَضْـلِ العَظِيم ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ وسـارِعُـوا إلى مَغْفِرةٍ من رَبِّكم وجَنـةٍ عَرضُهـا السمـواتُ والأرضُ أُعِـدَّت للمتقينَ ﴾[٢] .

وقال الله تعالى :

﴿ وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[٣] .

وقال الله تعالى :

﴿ وأمـا مَنْ خَـافَ مَقَـامَ رَبِّـهِ ونَهَى النَّفسَ عن الهـوى * فـإنَّ الجنـةَ هي المأوى ﴾[٤] .

وقال الله تعالى :

﴿ والـذين آمنــوا وعمِلـوا الصَّـالِحَـاتِ أُولئِـكَ أصحَـابُ الجنـة هم فيهـا خَالِدونَ ﴾[٥] .

واعلم ياأخي أن الجنة هي فوق ماتقرأ أو تسمع ، وفوق مايخطر ببالـك حيث إن تصورنا وإدراكنا لايحيط بالجنة ومعرفتها لأننـا إنمـا نتصور ونـدرك بقـدر مـا أوتينـا في الـدنيـا من متع وزخرفـة، وشعـورنـا قـاصر عن إدراك حقيقتهـا، وأمـا

---

(١) الحديد : ٢١ .

(٢) آل عمران : ١٣٣ .

(٣) الرحمن : ٤٦ .

(٤) النازعات : ٤٠ ، ٤١ .

(٥) البقرة : ٨٢ .

ماجاء في القرآن والسنة من وصف بنائها، وقصورها، وولدانها وذهبها، وأنهارها وشجرها، وثمرها ، لايشبه شيئاً من جنسه في الدنيا وليس هو مثله ، وإن اشتركا في الاسم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى :

﴿ وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾[١] .

لايشبه شيء مما في الجنة ما في الدنيا إلا في الأسماء .

فقد روى البخاري ومسلم[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . واقرءوا إن شئتم »

﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعين ﴾ .

واعلم أن الجنة ليست جنة واحدة ، وإنما هي أربع جنان وقيل ثمانٍ وإن مابين الجنة والأخرى تفاضل في النعيم .

قال الله تعالى :

﴿ وللآخِرَةُ أكبرُ درجاتٍ وأكبرُ تفضيلاً ﴾[٣] .

كما أن فيما بين الجنة الواحدة تفاضل في المنازل .

فقد روى الترمذي[٤] عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال :

---

(١) البقرة : ٢٥ .

(٢) أخرجه البخاري كتاب بدء الخلق ماجاء في صفة الجنة(٤ ـ ١٤٣) أخرجه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها رقم ـ ٢٨٢٤ ـ الآية من سورة السجدة :١٧ .

(٣) الإسراء : ٢١ .

(٤) أخرجة الترمذي كتاب صفة الجنة ما جاء في صفة درجات الجنة رقم (٢٥٣١ ـ ٢٥٣٢) وقال غريب .

قال رسول الله ﷺ : « في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش . فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » .

وروى البخاري ومسلم[١] عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما تتراءون الكوكب في السماء » .

وفي رواية : إن أبا بكر وعمر منهم ونعما . وهكذا تكون منازلهم على قدر أعمالهم .

وأعلى الجنان الفردوس ، ثم عدن ، ثم الخلد ، ثم المأوى ، فهذه هي الجنان الأربعة . وقد بينها الله تعالى في سورة الرحمن وبين مافيها ، وتفاضلها .فقال الله تعالى :

﴿ ولمن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[٢] .

فوصف مافيهما من أنهار وثمار وفرش وحور ، ثم قال :

﴿ ومن دونهما جنّتان ﴾[٣] .

فوصفهما كذلك بما فيهما وستعلم ذلك في موضعه .

وروى البخاري ومسلم[٤] والترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه باب بدء الخلق باب صفة الجنة ٤ ـ ١٤٥ .

(٢) الرحمن : ٤٦ .

(٣) الرحمن : ٦٢ .

(٤) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى رقم ـ ٢٩٦ ـ ١٨٠ .

قال : قال رسول الله ﷺ : « جنتان من فضة آنيتها وما فيها ، وجنتان من ذهب آنيتها وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » .

وللجنة ثمانية أبواب . باب خاص لأمة محمد ﷺ كما علمت ويشاركون سائر الأمم في الأبواب الأخرى . وهذه الأبواب كل باب منها خاص لعمل صالح ، فباب يدخل منه المصلون ، لايدخل منه غيرهم ويدعى باب الصلاة . وباب خاص للصائمين ، ويدعى الريان لايدخله غيرهم ، وباب الصدقة ، وباب بر الوالدين ، وباب صلة الرحم ، وباب الإحسان ، وباب مفرح الصبيان . وهكذا لكل عمل صالح باب خاص ومن كان يعمل في هذه الأعمال كلها يدعى من الأبواب كلها ، فمن أي باب شاء يدخل .

فقد ورد أن رسول الله ﷺ ذكر أبواب الجنة وذكر الداخلين منها وأعمالهم . فقال له أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله هل يدعى أحد من الأبواب كلها ؟ « قال نعم . وأنت منهم ياأبا بكر » .

وروى مسلم[١] وأصحاب السنن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مامنكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » .

أما نعيم الجنة فإن فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وإليك بيانه من القرآن الكريم والسنة الصحيحة .

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الطهارة باب الذكر المستحب عقب الوضوء رقم ـ ٢٣٤ .

أولاً ـ أرضها وتربتها :

إن أرض الجنة وتربتها ليست كأرضنا هذه ولكن ترابها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ ، وملاطها[١] المسك .

فقد روى الترمذي [٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت : يارسول الله مم خلق الخلق ؟ قال : « من الماء » قلت : الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنة فضة ولبنة ذهب ، وملاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران ، من يدخلها ينعم لا يبأس[٣] ويخلد لا يموت . ولا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم » .

ثانياً ـ أنهارها :

إن أنهار الجنة التي تجري فيها أربعة أنهار تنحدر من الفردوس وتمر بالجنان الأربع وهي: نهر من ماء، ونهر من لبن، ونهر من خمر، ونهر من عسل مصفى .

وقال الله تعالى :

﴿ وبشِّر الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ أنَّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ﴾[٤] .

وقال الله تعالى مبيناً لتلك الأنهار :

﴿ مَثَلُ الجنةِ التي وُعِدَ المتقونَ فيها أَنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ [٥] وأَنهارٌ من

---

(١) الملاط : الطين الذي يجعل فوق مسافي البناء يلط به الحائط أي : يصلح .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة باب ماجاء في صفة الجنة ونعيمها رقم ـ ٢٥٢٦ وقال الترمذي : هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي وليس هو عندي بمتصل .

(٣) البأس : الفقر وشدة الحاجة .

(٤) البقرة : ٢٥ .

(٥) آسن : متغير بطول المكث .

لبنٍ لم يَتَغَيَّرْ طَعمُـه وأنهــارٌ من خمرٍ لـذَّةٍ للشــاربينَ وأنهــارٌ من عســلٍ مصفى ولهم فيها من كلِّ الثمراتِ ﴾(١) .

واعلم أن ماء الجنة ليس كماء الدنيا ، فإن ماء الدنيا إذا تأخر وركد في مكان تغير طعمه ولونه بطول المكث ، لكن ماء الجنة مهما طال عليه الزمن يزداد حلاوة ولذة ، وإن ماءها أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، ولبنها غير لبن الدنيا ، فإن لبن الدنيا ، يخرجه الله من بين فرث ودم ، وإذا تأخر يحمض وينتن ، لكن لبن الجنة نهر جار كلما طال عليه الزمن ازداد لذة ، وخمرها كذلك ليس كخمر الدنيا ، فإن خمر الدنيا إنما هو من بعض الثمار والحبوب المخمرة ، وإذا شرب منه الشارب فقد عقله وتقيأ ، وأصيب بصداع في الرأس ، لكن خمر الجنة نهر جار وليس هو نتيجة تخمير بعض الثمار ، ولا يصدع شاربه ولا يتقيأ ولا يفقد عقله .

قال الله تعالى :

﴿ يطوفُ عليهم ولدَانٌ مُخَلّدونَ * بأكوابٍ وأباريقَ وكأس من مَعين * لايصدَّعُونَ عنها ولا يُنزِفُون ﴾(٢) .

وعسلها كذلك ليس كعسل الدنيا الذي هو لعاب النحل ، لكنه نهر جارٍ لاشمع فيه كعسل الدنيا فهذه هي أنهار الجنة ومنها يشربون .

ثالثاً ـ قصورها ومساكنها :

علمت فيما سبق أن الجنان أربع فجنتان منها ذكر الله فيها القصور فقال الله تعالى :

---

(١) محمد : ١٥ .

(٢) الواقعة : ١٧ ـ ١٩ .

﴿ لكن الذينَ اتقوا ربَّهم لهم غرف من فوقها غرف مبنيةٌ تجري من تحتها الأنهار وعد الله لايخلف الله الميعاد ﴾[١] .

قال الله تعالى :

﴿ أولئكَ يُجزونَ الغُرفةَ بما صَبَرُوا ويُلَقَّوْنَ فيها تحيةً وسلاماً ﴾[٢] .

وإن قصورهما وغرفهما مبنية كما علمتَ بالذهب والفضة وليست مبنية بالطوب والحجر أو الخفاف والأسمنت .

وقال الله تعالى :

﴿ تَبَارَكَ الذي إن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خيراً من ذلِك جناتٍ تجري من تَحتَها الأنهارُ ويجعل لك قصوراً ﴾[٣] .

وأما الجنتان الأخريان فقد ذكر الله تعالى أن منازلهما الخيام فقال الله تعالى بعد ذكر الجنتين الأوليين :

﴿ ومن دونهما جنَّتان ﴾[٤] . إلى أن قال :

﴿ حورٌ مقصوراتٌ في الخِيام ﴾[٥] .

وليست خياماً من القطن أو الشعر ، لا ياأخي بل هي خيام من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد .

---

(١) الزمر : ٢٠ .
(٢) الفرقان : ٧٥ .
(٣) الفرقان : ١٠ .
(٤) الرحمن : ٦٢ .
(٥) الرحمن : ٧٢ .

فقد روى البخاري ومسلم والترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « في الجنة خيمة من لؤلؤة مُجَوفةٍ ، عرضها ستون ميلاً ، في كل زاوية منها أهل مايرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن » .

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أدنى أهل الجنة منزلة ، الذي له ثمانون ألف خادم ، واثنان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ و زبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء » فهذه هي مساكن الجنة وقصورها .

رابعاً ـ الفرش والأواني :

إن فرش الجنة الحرير ومحشوة في حرير ، على الأسرة المنسوجة بالذهب .

قال الله تعالى :

﴿ مُتَّكِئينَ على فُرُش بطائِنُها من إسْتَبْرق ﴾[١] .

قال الله تعالى :

﴿ على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئينَ عليها مُتَقَابِلينَ ﴾[٢] .

كما أن أرض الغرف مفروشة بالسجاد وحولها النمارق مصفوفة وكلها من الحرير .

وقال الله تعالى :

﴿ فيها سُررٌ مرفوعةٌ * وأكوابٌ موضوعةٌ * ونمارقُ مصفوفةٌ * وزَرَابِيُّ مبثُوثَةٌ ﴾[٣] .

---

(١) الرحمن : ٥٤ .
(٢) الواقعة : ١٥ ، ١٦ .
(٣) الغاشية : ١٣ ـ ١٦ .

هـذا بـالنسبـة للفرش وأمـا الأواني من صحـاف وأكواب وكـؤوس فـإنهـا من ذهب ، وهذا بالنسبة للجنتين الأوليين جنتي الفردوس وعدن ، وأمـا جنتي الخلـد والمـأوى فـآنيتهما من الفضـة كما تقـدم في حـديث أبي موسى عنـد البخـاري ومسلم والترمذي .

قال الله تعالى :

﴿ يُطافُ عليهم بصِحَافٍ من ذَهَبٍ وأكوابٍ ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ ويُطـافُ عليهم بـآنيـةٍ من فِضّـةٍ وأكوَابٍ كَـانَتْ قـواريرا * قـواريرا من فضةٍ قدروها تقديراً ﴾[٢] .

خامساً ـ نساؤها :

إن لكل مؤمن في الجنة زوجتان من نسـاء الـدنيـا ومن الحور العين على قـدر أعماله . ولعلك تقول : مالنا ولنساء الدنيـا فـإن منهن سيئـات الخلق والخُلق . أو لعل عندك ضرتين تكثران عليك وتزعجانك ، لا ياأخي الجنـة غير الـدنيـا . اعلم أن النسـاء المسلمـات في الجنـة يكن خيراً من الحـور العين جمـالاً وأخـلاقـاً ، وإن الحور العين لخدم لهن ، ولا حسد بينهن ولا بغضاء ولا عداوة بل أخوة وتحابب .

قال الله تعالى :

﴿ وَنَزعنا مافي صُدُورِهِم من غِلٍّ إخواناً على سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾[٣] .

واعلم أن نساء أهل الجنـة مطهرات سواء منهن المسلمـات أو الحور العين ، فلا

---

(١) الزخرف : ٧١ .

(٢) الإنسان : ١٥ ، ١٦ .

(٣) الحجر : ٤٧ .

بول ولاغائط ولا حيض ولا نفاس ولا ولادة بل أبكاراً ، كلما جاءها زوجها وجدها بكراً .

قال الله تعالى :

﴿ ولهم فيها أزواجٌ مطهرةٌ وهم فيها خَالِدونَ ﴾(١) .

وقال الله تعالى :

﴿ وعِندهُم قاصِرَاتُ الطَّرفِ عِينٌ * كَأَنهُنَّ بيضٌ مَكنُونٌ ﴾(٢) .

وقال الله تعالى :

﴿ فيهنَّ قاصِرَاتُ الطَّرفِ لم يَطمِثهُنَّ إنسٌ قبلهم ولا جَانٌّ ﴾(٣) .

ثم قال : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ والمرجَانِ ﴾(٣) .

وقال تعالى :

﴿ إنَّا أنشَأناهُنَّ إنشاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أبكاراً * عُرُباً أَتْرَاباً ﴾(٤) .

يعني بعمر ثلاثين سنة ، وراغبات في الزواج .

وقال تعالى :

﴿ وكَوَاعِبَ أَترَاباً ﴾(٥) .

ومعنى كواعب : يعني مرتفعات النهود . ياله من وصف ، ويا له من ترغيب .

---

(١) البقرة : ٢٥ .
(٢) الصافات : ٤٨ ، ٤٩ .
(٣) الرحمن : ٥٦ و ٥٨ .
(٤) الواقعة : ٣٥ - ٣٧ .
(٥) النبأ : ٣٣ .

أرأيت ياأخي لو أن رجلاً أو شاباً يريد أن يتزوج ، ويخبره أحد بفتاة جميلة ومهذبة ويذكر له من محاسنها وجمالها ليحببه فيها ألا يزداد شغفاً في حبها وتطلعاً لرؤيتها ، ويبذل المال الطائل في سبيل الزواج منها ؟ ولربما أدى حبه لها إلى إتلاف روحه . فهذا رب العالمين وأصدق المخبرين ، يصف لنا الحور[1] العين يحببهن إلينا بما يصف لنا من حسنهن وجمالهن لعلنا نرغب فيهن ، ونعمل من أجل الحصول عليهن والزواج منهن .

فهل من خاطب وهل من راغب ؟ فإن كنت خاطباً فقدم المهر ، إنه الإيمان بالله والعمل الصالح واجتناب محارم الله ، ولا تكن مثل ذلك الأعرابي الذي صلى في مسجد رسول الله ﷺ صلاة خفيفة نقرها نقراً . ثم بسط يديه بالدعاء وقال : اللهم زوجني من الحور العين . فقال له رسول الله ﷺ : لقد أحسنت الخطبة وأسأت في المهر .

وإليك ياأخي هذا الحديث الشريف لعلك تزداد حباً .

روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت مابينهما ولملأت ما بينهما ريحاً ، ولنَصيفُها على رأسها خير من الدنيا وما فيها »[2] يعني : خمارها خير من الدنيا وما فيها فما ظنك بعد هذا ياأخي إن كان خمارها الذي تغطي رأسها به خير من الدنيا ومافيها ، وريحاً يعبق الدنيا كلها . فيا سعادة من يكنَّ له . اللهم وفقنا للعمل الصالح حتى نكون من أزواجهن ـ برحمتك ياأرحم الراحمين ـ .

---

(١) حور عين يعني واسعات العيون شديدات بياض العين وسوادها . والحوار : شدة البياض .

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب فضائل الجهاد باب في الغدو والرواح في سبيل الله(١٦٩٩) أول الحديث : لغدوة في سبيل الله . . هذا حديث صحيح .

واعلم ياأخي أن من في الجنة لايحتاج إلى مرآة ليرى وجههْ فيها ، وإنما ينظر وجهه في صدر زوجته أو وجهها ، ويرى مخ ساقها كاللبن في القارورة وما دام القلم يكتب عن نساء الجنة وحسنهن فإني أذكر لك هذه القصة استئناساً وترغيباً في الجنة وفي نسائها :

يحكى أنه كان رجل من القادة المسلمين يدعى : عبد الواحد بن زيد رحمه الله يتحدث عن الجهاد وفضل الاستشهاد في سبيل الله . وذكر قوله تعالى :

﴿ إنّ الله اشتَرَى من المؤمنِينَ أَنْفُسَهُم وأموَالهم بأنّ لهم الجنّةَ يُقَاتِلون في سبيلِ الله فَيقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾[1] .

فقام شاب من القوم يدعى سعيداً فقال : ياشيخ ، الله سبحانه وتعالى يشتري منا أنفسنا وأموالنا بالجنة ؟ قال : نعم . قال : فإني أشهدك بأني بعت الله نفسي ومالي بالجنة : فقال له عبد الواحد : إنك شاب حدث السن وأخشى أنك لاتستطيع تنفيذ البيعة . قال : بلى اشهد بأني بعت الله نفسي ومالي بالجنة فقال له الشيخ : بيع رابح ، ودعا له بالتوفيق ، وكان قتالهم مع الروم ، فذهب الشاب سعيد وأنفق ماله في سبيل الله ، ولم يبق له إلا ما يحتاج إليه للجهاد من فرس ، ودرع ، وسلاح ، وتجهَّز الجيش لغزو الروم بقيادة عبد الواحد بن زيد ، وتجهز سعيد وغزا معهم . وقبل أن يلتقوا بالعدو بساعات وكانوا في وقت استراحتهم من السير واستعدادهم للقاء العدو ، نام سعيد وكان بالقرب منه أحد إخوانه المجاهدين فرأى سعيداً في نومته يتكلم ويمد يده ثم يردها فعلم أنه في رؤيا فلم يوقظه ، وبعد أن استيقظ سعيد من نومه سأله صاحبه : ماذا رأيت في نومك ؟ لقد سمعتك تتكلم وتمديدك فقال له : لم أر شيئاً . فألح عليه فقال : لا أحدثك بما رأيت حتى تعاهدني بأنك لاتتكلم عما أخبرك به حتى أموت .

---

(١) التوبة : ١١١ .

فأعطاه عهداً لا يحدث بما يخبره بـه حتى يموت . فقـال لـه : لقـد رأيت كأني دخلت الجنة وإذا بنهر من ماء عليه حور وغلمان فلما رأوني قالوا : أهلاً ومرحبـاً بزوج العينـاء المرضيـة فقلت : أفيكن العينـاء المرضيـة ؟ قلن : لا ، ليتنـا خـدم لها ، امض أمامك . فمضيت وإذا بنهر من لبن عليه من الحور والولـدان أجمل ممـا رأيت على نهر المـاء . وإذا بهم يرحبون ويقولون : أهـلاً ومرحبـاً بـزوج العينـاء المرضيـة . فقلت : أفيكن العينـاء المرضيـة ؟ قلن : لا ، ليتنـا خـدم لهـا ، امض أمامك ، فلما سمعت منهن ذلك ازددت شوقـاً لرؤيتهـا فمضيت وإذا بنهر من خمر وعليه من الحور والغلمـان أجمل وأحسن ممـا رأيت على نهر اللبن وإذا بهم يرحبون ويقولون : أهلاً ومرحبـاً بزوج العينـاء المرضيـة . فـدنـوت منهن وقلت : أفيكن العيناء المرضية ، قلن : لا ، ليتنا خدم لها ، امض أمـامـك . فمضيت ، وإذا بنهرٍ من عسل ، وعليـه من الحور والغلمـان أجمـل ممـا رأيت على نهر الخمر ، وإذ أسمع مناد ينادي : ياعيناء أبشري هـذا زوجـك قـد حضر ، فخرجت على بـاب القصر تبتسم وترحب بي ، ودخلت القصر معهاوجلسنا على سرير من ذهب فلمـا نظرت إليها فتنت بجمالها فمددت يـدي لأحتضنهـا حتى أقبلهـا . فقـالت لي : إليـك عني فإنك لازلت في دار الدنيـا . فقلت : لا أريـد الـدنيـا . فقـالت : لازلت في دار الدنيا فتركتها ، غير أني نسيت ذلك من حسنهـا ومـددت يـدي ثـانيـة لأعـانقهـا فقالت : إليك عني أما قلت لك : إنـك لازلت في دار الـدنيـا ، فقلت لهـا : متى أخرج من الـدنيـا ؟ فقـالت : إنـك تفطر الليلـة عنـدنـا إن شـاء الله حيث كان صائماً . فاستيقظت وهذا مارأيت ، وإن شاء الله أفطر عندها اليوم .

وبعد ذلك وقع القتال بين الروم والمسلمين فأبلى سعيد بلاء حسناً وكان يتقدم بين صفوف المشركين ويقاتل ويريـد أن يقتل حتى عجب منـه أصحـابـه لبلائـه وشجـاعتـه ولا يخشى الموت وقبل انتهـاء المعركـة أصيب بطعنـة بـالغـة ، فحملـه أصحابه وانتهى القتال ، وجاء صاحبه الـذي قص عليـه الرؤيـا التي رآهـا ، وإذا

بسعيد يجود بروحه فقال له : هنيئاً لـك يـاسعيـد بـالعينـاء المرضيـة ، فقـال لـه أصحابه : ما هذه العيناء المرضية ؟ فأراد أن يحدثهم ، فنظر إليـه سعيـد ، وعض شفته مذكراً له بالعهد ، فسكت ولم يحدثهم بخبره حتى مات رحمه الله .

فهذا ياأخي هو الإيمان الصـادق ، وهـذه هي الرغبـة الصـادقـة في الجنـة وفي الحور العين .

قال الله تعالى :

﴿ ادخُلُوا الجَنَّةَ أنتُم وأزوَاجُكُم تُحبَرُونَ ﴾[1] .

ومن ثم ياأخي لعلك تحب سماع الغناء من الأصوات الشجية وتتسـاءل هل في الجنة غناء ؟ فاعلم ياأخي أن فيها غنـاء وأصواتـاً شجيـة لم تسمع الخلائق مثلهـا . ولـو سمعهـا من في الـدنيـا لأغمي عليـه من شـدة الطرب والسرور . وإن اللـواتي يغنين هن الحور العين .

فقد روى الترمذي[2] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « إن في الجنـة لمجتمعـاً للحور العين يغنين بـأصـوات لم يسمـع الخـلائـق بمثلهـا ، يقلن : نحن الخـالـداتُ فـلا نبيـدُ ونحن النـاعمـاتُ فـلا نبـأسُ ، ونحن الراضيات فلا نسخطُ ، طوبى لمن كان لنا وكنّا له » .

سادساً ـ الخدم والغلمان :

لقد وصف الله الغلمان الذين هم خدام لأهل الجنة ، كأنهم لؤلؤ مكنون . فقال الله تعالى :

---

(١) الزخرف : ٧٠ .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة باب ماجاء في كلام الحور العين رقم ـ ٢٥٦٤ وقال غريب .

﴿ ويَطُوفُ عليهم ولدَانٌ مُخَلَّدُونَ إذا رَأَيتَهُم حَسِبتَهُم لُؤلُؤاً مَنثُوراً ﴾[١] .

وإنما وصفهم بذلك لحسنهم وجمالهم .

ويروى أن أطفال المشركين الذين يموتون دون البلوغ يكونون خدماً لأهل الجنة في الجنة .

واعلم أن أولئك الغلمان هم ملك لأهل الجنة وليسوا أجراء ، وإن أدنى أهل الجنة منزلة من يعطى ثمانون ألف غلام كما تقدم في حديث أبي سعيد عند الترمذي .

قال تعالى :

﴿ ويَطُوفُ عليهم غِلمَانٌ لهم كَأَنَّهُم لُؤلُؤٌ مَكنُون ﴾[٢] .

وإنما يطوفون عليهم للخدمة وليس للغلمان عمل سوى تقديم الطعام والشراب . حيث يقول الله تعالى :

﴿ يُطَافُ عَليهم بِصِحَافٍ من ذَهَبٍ وأكوابٍ وفيها ما تشتَهيهِ الأنفسُ وتَلَذُّ الأعين وأنتم فيها خَالِدون ﴾[٣] .

وقال الله تعالى :

﴿ يَطُوفُ عليهم وِلدَانٌ مُخَلَّدون * بأكوابٍ وأَبَارِيقَ وكَأس مِن مَعِين * لا يُصدَّعُون عنها ولا يُنزِفُونَ * وفاكهةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرونَ * ولحمِ طَيرٍ مِمَّا يَشتَهُونَ ﴾[٤] .

---

(١) الإنسان : ١٩ .

(٢) الطور : ٢٤ .

(٣) الزخرف : ٧١ .

(٤) الواقعة : ١٧ ـ ٢١ .

سابعاً ـ طعامها وشرابها :

أما طعامهم فيها فقد ذكر الله تعالى أن طعامهم فيها اللحم والفاكهة وهما ألذ المأكولات .

وذكر الله تعالى أن اللحم الذي يأكلونه إنما هو ألذ اللحوم وهو لحم الطيور .

قال الله تعالى :

﴿ وفَاكِهَةٍ مِمَّا يتخيَّرونَ * ولحمِ طَيرٍ ممَّا يشتهُونَ ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ وأمدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ ولحمٍ مِمَّا يشتَهُونَ ﴾[٢] .

واعلم أن هذا الطعام غير منقطع فمتى يشتهي منه شيئاً جاءه بخلاف ثمرالدنيا وفاكهتها فإن ثمر الشتاء لا يوجد بالصيف وفاكهة الصيف لاتوجد في الشتاء ، لكن ثمر الجنة دائم غير منقطع .

قال الله تعالى :

﴿ وفاكهةٍ كثيرةٍ * لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ ﴾[٣] .

ومن ذا الذي يمنعه عنها وهي ملكه . قال تعالى :

﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾[٤] .

---

(١) الواقعة : ٢٠ ، ٢١ .
(٢) الطور : ٢٢ .
(٣) الواقعة : ٣٢ ، ٣٣ .
(٤) الزمر : ٧٤ .

واعلم أن الجنة فيها من جميع الثار والفواكه التي تعلمها والتي لا تعلمها ولا تحتاج لتحمل سلة أو كيساً لتذهب وتقطع من البستان لا . إن ثمرها متدل وأنت جالس وأنت مضطجع ، فقد قال الله تعالى :

﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا من إستَبْرق وجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾[1] .

وكان الرسول ﷺ يقول : « ينال منه القائم والقاعد والمضطجع » .

قال الله تعالى :

﴿ وذُلِّلت قُطُوفُها تَذْلِيلاً ﴾[2] .

وقال تعالى :

﴿ قطوفها دانية ﴾[3] .

واعلم أن أشجار الجنة بخلاف أشجار الدنيا ، فأشجار الدنيا عروشها في الأرض وأغصانها في الجو . لكن أشجار الجنة عروشها في الجو وأغصانها متدلية على الأرض وأن الشجرة الواحدة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه .

فقد روى الترمذي[4] عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها » اقرؤوا إن شئتم :

﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾[5] .

---

(١) الرحمن : ٥٤ .

(٢) الإنسان : ١٤ .

(٣) الحاقة : ٢٣ .

(٤) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة باب رقم ـ ٧ رقم الحديث ـ ٢٦٢٣ وقال : صحيح .

(٥) الواقعة : ٣٠ .

ولعلـك تقـول إن كانت الشجرة الـواحـدة يسير الراكب في ظلها مـائـة عـام لايقطعه وكيف يستطيع أن يأكل من جميع الأشجار ؟

فاعلم ياأخي أن أغصان الأشجار ملتف على بعضـه البعض وجميع الثمار قريبـة منك وفوقك .

وقال الله تعالى :

﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾[1] .

أي : ملتف بعضه على بعض .

ثامناً ـ لباسها وزينتها :

إن لبـاس أهل الجنـة في الجنـة الحرير ، وليس كحرير الـدنيـا الـذي هو من دودة القز ، كلا إنه صنع رب العالمين الـذي أتقن كل شيء . ولكل واحـد سبعون حلة من حلل الجنة لا يشبه لون واحدة منها الأخرى .

قال الله تعالى :

﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وإِستَبْرَقٌ ﴾[2] .

وهذه الثياب لاتبلى وكلما طال عليها الزمن تزداد جودة .

وأما الرجال فيلبسون على رءوسهم التيجان المرصعة باللؤلؤ .

روى الترمذي[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « أهـلُ الجنـة جُرْدٌ مُرْدٌ[4] كُحْـلٌ لا يَفنى شبـابهم ، ولا تَبلى ثيـابهم ، عليهم

---

(١) الرحمن : ٤٨ .

(٢) الإنسان : ٢١ .

(٣) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة باب رقم ـ ٨ رقم الحديث ـ ٢٥٣٩ وقال : حسن غريب .

(٤) مرد : ليس في وجوههم شعر بل شباب .

التيجان ، وإن لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب » . وأما النساء فيلبسن على رءوسهن الخمر .

وقد علمت أن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر أن خمارها خير من الدنيا وما فيها .

وأما زينتهم من الأساور ونحوها فإن أهل الفردوس وعدن زينتهم الذهب يحلون به .

قال الله تعالى :

﴿ يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَسَاوِرَ من ذَهَبٍ ولُؤْلُؤاً ﴾[١] .

وأما أهل جنة الخلد والمأوى فزينتهم الفضة .

وقال الله تعالى :

﴿ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ من فِضَّةٍ وَسَقَاهُم رَبُّهُم شَرَاباً طَهُوراً ﴾[٢] .

روى الترمذي[٣] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن رجلاً من أهل الجنة طلع فبدا أساوِرُهُ لطمس ضوءَ الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم » .

فهذه هي الجنة يا أخي . أما عن حال أهلها ونعيمهم فيها جعلنا الله وإياك والمسلمين من أهلها ، فإنهم يدخلون الجنة شباباً سواء منهم من مات شيخاً ، أو صغيراً أبناء ثلاثين عاماً ، وطول كل واحد منهم على طول أبينا آدم عليه السلام .

---

(١) الحج : ٢٣ .

(٢) الإنسان : ٢١.

(٣) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة رقم الحديث ـ ٢٥٣٨ وقال غريب .

فقد روى الترمذي[١] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار » .

وروى البخاري ومسلم والترمذي[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أوّل زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لايبصقون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ، آنيتهم فيها من الذهب ، وأمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم[٣] من الألُوّ ورشحهم المسك » الألوة : عود الطيب .

وقال رسول الله ﷺ : « أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان »[٤] .

هكذا يكونون في الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ، ولا يبولون وإنما يرشح منهم الطعام والشراب رشحاً كريح المسك . كما أنهم لايموتون ولا يهرمون ولا يضعفون ولا يمرضون ولا يحزنون ولا يتعبون وليست فيما بينهم عداوة ولا بغضاء ، ولا حسد ، ولا نزاع ، بل إخوة متحابون .

قال الله تعالى :

﴿ لايَذُوقُونَ فيها الموتَ إلا الموتَةَ الأولى ووقَاهُم عَذَابَ الجَحِيم ﴾ [٥] .

وقال الله تعالى مخبراً عن قولهم فيها :

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة رقم الحديث ـ ٢٦٨٧ وقال : حديث غريب .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة رقم الحديث ـ ٢٦٦٠ وقال : حديث صحيح .

(٣) مجامرهم : ما يتبخرون به للتطييب .

(٤) أخرجه الترمذي كتاب صفة الجنة رقم الحديث ـ ٢٦٥٨ وقال : حسن صحيح .

(٥) الدخان : ٥٦ .

﴿ وقَالُوا الحَمدُ لله الذي أذهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إنَّ رَبَّنا لغفورٌ شكورٌ * الذي أحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ من فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فيها نَصَبٌ ولا يمسنا فيها لُغُوبٌ ﴾[١] .

قال الله تعالى :

﴿ ونَزَعْنَا ما في صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ تجري من تحتِهِم الأنهَارُ ﴾[٢] .

وكلما طال عليهم الزمن في الجنة ازدادوا حسناً وجمالاً وقوة بخلاف الدنيا .

روى مسلم[٣] عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في ثيابهم ووجوههم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول أهلوهم : والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً . فيقولون : وأنتم والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً » .

وإن أعظم نعيم لأهل الجنة هو النظر إلى وجه الله الكريم .

قال الله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يومئذٍ ناضِرةٌ * إلى رَبِّها نَاظِرةٌ ﴾[٤] .

قال الله تعالى :

﴿ للَّذِينَ أحسَنُوا الحُسنَى وزِيَادَة ﴾[٥] .

فالحسنى : هي الجنة ، والزيادة : هو النظر إلى وجه الله الكريم .

---

(١) فاطر : ٣٤ ، ٣٥ .
(٢) الأعراف : ٤٣ .
(٣) أخرجه مسلم كتاب الجنة باب في سوق الجنة رقم ٢٨٣٣ .
(٤) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .
(٥) يونس : ٢٦ .

وقال الله تعالى :

﴿ لَهُم مايَشَاءُونَ فيها ولَدَينَا مَزِيدٌ ﴾[(١)] .

فالمزيد هو النظر إلى وجه الله الكريم . فعندما يتجلى لهم الله تعالى بالرضا ويكشف لهم الحجاب يخرون سجداً لله تعالى فيقول الله تعالى : ارفعوا رءُوسكم ياعبادي فإن عهد العبادة قد مضى في الدنيا وإنما أنتم في دار الجزاء .

قال الله تعالى :

﴿ كُلُوا واشرَبُوا هَنِيئاً بما أَسْلَفْتُم في الأيامِ الخاليةِ ﴾[(٢)] .

فلا عبادة في الجنة كصلاة ، وصيام ، وغسل من جنابة ونحوها بل حمد لله وثناء . وقالوا : ﴿ الحَمْدُ للهِ الذِي صدقنا وعده وأَوَرَثَنَا آلأرضَ نَتَبَوَّأُ من الجنَّةِ حيثُ نَشَاءُ فَنِعْم أجرُ العَامِلينَ ﴾[(٣)] .

وقالوا :

﴿ الحمدُ للهِ الذي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إنَّ رَبَّنَا لغفورٌ شكورٌ ﴾[(٤)] .

وقالوا :

﴿ الحمدُ للهِ الذي هدَانَا لهذا وما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هَدانا اللهُ ﴾[(٥)] .

وإن الملائكة يدخلون عليهم للزيارة والسلام . قال الله تعالى :

---

(١) ق : ٣٥ .
(٢) الحاقة : ٢٤ .
(٣) الزمر : ٧٤ .
(٤) فاطر : ٣٤ .
(٥) الأعراف : ٤٣ .

﴿ والملائِكةُ يدخُلُونَ عليهم من كلِ بابٍ * سلامٌ عليكم بما صَبَرتُم فَنِعمَ عُقبى الدّارِ ﴾[١] .

وأما فيا بينهم فلا خصام ولا كذب ولا لغو بل تحية وتذكر للدنيا وأعمالهم فيها .

قال الله تعالى :

﴿ تَحيّتُهم فيها سلامٌ وآخرُ دَعْوَاهُم أَنْ الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمين ﴾[٢] .

وقال الله تعالى :

﴿ لا يَسمَعُونَ فيها لَغواً ولا تأثِيماً * إلا قيلاً سلاماً سلاماً ﴾[٣] .

وقال تعالى :

﴿ لا يَسمَعُونَ فيها لَغواً ولا كِذّاباً ﴾[٤] .

أما أنهم يتذكرون أعمال الدنيا فقد قال تعالى :

﴿ وأقبَلَ بعضُهُم عَلى بعضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالوا إنّا كُنّا قَبلُ في أهلِنا مُشفِقِينَ * فَمَنَّ اللهُ علينا ووقَانَا عَذَابَ السَّمومِ * إنّا كُنّا من قَبلُ نَدعُوهُ إنه هُوَ البرُّ الرحيمُ ﴾[٥] .

واعلم أن أهل الجنة يشاهدون أهل النار وأهل النار يشاهدون أهل الجنة . وما ذلك إلا زيادة في نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار . حيث إن أهل الجنة

---

(١) الرعد : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) يونس : ١٠ .

(٣) الواقعة : ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) النبأ : ٣٥ .

(٥) الطور : ٢٥ ـ ٢٨ .

عندما يرون أهل النار وعذابهم ، لو لم يدخلهم الله الجنة لرأوا أنهم في أكبر نعيم حيث نجاهم الله من النار ، وأهل النار عندما يرون أهل الجنة ونعيمهم لرأوا أنه لو لم يدخلهم الله النار وإنما حرمهم من ذلك النعيم . إن ذلك لحسرة عليهم وعذاب . كيف وهم يرون أهل الجنة قد ورثوا منازلهم التي كانت معدة لهم وقد ورث الكفار منازلهم في النار . حيث إن الحاجز الذي فيما بينهم شفاف لايمنع الرؤية . كما أنهم يتخاطبون فيما بينهم . وإن القرآن الكريم ذكر لنا بعض مخاطبتهم ، فقال الله تعالى :

﴿ ونَادى أصحَابُ الجنِة أصحَاب النارِ أنْ قَدْ وَجَدنَا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فهل وَجدتُّم ما وَعَدَ رَبُّكُم حقاً قالوا نعم فأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بينهم أن لَعنَةُ اللهِ على الظَّالمينَ ﴾[1] .

وقال الله تعالى :

﴿ ونَادى أصحابُ النارِ أصحابَ الجنَّة أن أفِيضُوا علينَا من الماءِ أو مما رزَقَكُمُ اللهُ قالوا إنّ الله حَرَّمَهما عَلى الكَافِرينَ ﴾[2] .

هذا ولقد يلقي أهل الجنة اللوم على أهل النار ويذكرونهم بما كانوا عليه في الدنيا من الكفر وعدم الإيمان باليوم الآخر .

قال الله تعالى حكاية عن أهل الجنة :

﴿ فَأَقْبَلَ بعضُهُم على بعضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ منهم إني كان لي قرينٌ يقولُ أإنَّك لمن المصَدِّقينَ * أإذا مِتْنَا وكُنَّا تُراباً وعِظَاماً أإنا لمدِينُون * قآل هَلْ أنتم مُطَّلِعُونَ * فاطَّلَعَ فرآهَ في سَوَاءِ الجَحِيم * قال تاللهِ إنْ كِدْتَ لتُردِينِ *

---

(١) الأعراف : ٤٤ .

(٢) الأعراف : ٥٠ .

ولَولا نِعْمَةُ رَبِّي لكنتُ من المحضَرِين * أفما نحنُ بميِّتينَ * إلاَ مَوتَتَنَا الأولى وما نحنُ بمعذَّبين ﴾[١] .

وقال الله تعالى :

﴿ يومَ يقولُ المنافقون والمنافقاتُ للذينَ آمنوا انظُرونَا نَقتَبِس من نُورِكُم قِيلَ ارجِعوا وراءَكُم فالتمسُوا نوراً فَضُرِبَ بينهم بسورٍ له بابٌ باطِنهُ فيه الرحمةُ وظاهرهُ من قَبلِه العذابُ * يُنَادُونَهُم ألم نَكُنْ معكُم قَالُوا بلى ولكنكم فتنتُم أنفُسكم وتَرَبَّصتُم وارتبتُم وغرَّتكُم الأمانِيُّ حتى جاءَ أمرُ اللهِ وغَرَّكُم باللهِ الغَرُورِ ﴾[٢] .

ومن مخاطبة أهل الجنة لأهل النار يسألونهم عن الأعمال التي أدخلوا بسببها النار .

فقال الله تعالى :

﴿ إلا أَصحابَ اليمينِ * في جناتٍ يتساءَلونَ * عن المجرمينَ * ما سَلَكَكُم في سَقَرٍ * قالوا لم نَكُ من المصَلِّينَ * ولم نَكُ نُطعِمُ المسكينَ * وكُنَّا نخوضُ مع الخائِضينَ * وكُنَّا نُكذِّبُ بيومِ الدينِ * حَتَّى أتَانَا اليقينُ ﴾[٣] .

وهكذا يتخاطبون فيما بينهم ويتساءلون . فيا سعادة أهل الجنة ، ويا شقاوة أهل النار . فهذه هي الجنة التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين . بل وهذه هي الجنان ولعلك بعد هذا البيان تقول : ما هو السبيل الذي أصل به إلى الجنة ؟ وما هو العمل الذي أعمل به حتى أكون من أهل الجنان العالية وهي الفردوس وعدن جنتا الذهب والقصور ؟ .

---

(١) الصافَّات : ٥٠ ـ ٥٩ .
(٢) الحديد : ١٣ ، ١٤ .
(٣) المدثر : ٣٩ ـ ٤٧ .

طريقنا إلى الجنة :

فاعلم ياأخي أن السبيل يسير لمن يسره الله تعالى له ، إنما هو العمل الصالح الذي يرتكز على الإيمان . وكل عمل لايرتكز على الإيمان فهو هباء . وإليك بيان السبيل من القرآن الكريم الذي يصلُ بك إلى الفردوس . عشر آيات إن عملت بها فإنك من أهل الفردوس .

قال الله تعالى :

﴿ قد أفلحَ المؤمنونَ * الذينَ هم في صَلاتِهم خاشِعُونَ * والذينَ هم عن اللغوِ مُعْرِضُون * والذينَ هم للزكاةِ فاعلونَ * والذينَ هم لفُرُوجِهم حَافِظُونَ * إلا على أَزواجهم أو ما مَلكَت أيمَانُهم فإنَّهم غيرُ ملومِينَ * فمن ابتغى وراءَ ذلك فأولئكَ هُمُ العَادُونَ * والذينَ هم لأمانَاتِهم وعَهدِهِم راعُونَ والذينَ هُم على صَلَواتِهم يُحَافِظُونَ * أولئك هم الوارِثونَ * الذينَ يرثُونَ الفردَوسَ هم فيها خَالدونَ ﴾[1] .

فهذا ياأخي هو سبيل الفردوس ، من سلكه انتهى به إلى الفردوس . وفقنا الله وإياك للعمل به .

وأما سبيل جنة عدن فإليك بيانه كذلك من القرآن الكريم .

قال الله تعالى :

﴿ ياأيها الذينَ آمنوا هل أدُلُّكم على تجارةٍ تُنجيكُم مِنْ عذابٍ أليمٍ * تُؤمنونَ باللهِ ورسولهِ وتُجاهِدونَ في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمُونَ * يَغفر لكُم ذُنُوبَكم ويُدخِلكُم جَنَّاتٍ تجري من تَحتِها الأنهارُ ومَسَاكِنَ

---

(١) المؤمنون : ١ ـ ١١ .

طيِّبةً في جناتِ عدنٍ ذلك الفوزُ العظيمُ ﴾[(١)] .

فهذا هو السبيل الذي تستوجب به دخول جنة عدن : إيمان بالله ورسوله وجهاد بالمال والنفس في سبيله .

فاعلم ياأخي أن سلفنا الصالح عندما عرفوا السبيل سلكوه ولما عرفوا الجنة وعلموا ثمنها قدموا الثمن رخيصاً ؛ ففازوا بها وبرضا الله سبحانه وتعالى لقد باعوا الله أرواحهم وأموالهم بالجنة وصدقوا في بيعتهم .

وقال الله تعالى فيهم :

﴿ من المؤمنينَ رجالٌ صَدَقُوا ماعَاهَدُوا الله عليه فَمِنهُم من قَضَى نَحْبَهُ ومنهم من ينتظرُ وما بدَّلُوا تَبدِيلاً ﴾[(٢)] .

وأكبر مثل على ذلك عُمَيْرُ بن الحُمام رضي الله عنه في غزوة بدر عندما كان رسول الله ﷺ يحض المسلمينَ على القتال ويقول : « والذي نفس محمدٍ بيده لايقاتلهم اليوم صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر فيقتل إلا أدخله الله الجنة ، فقام عُمَير بن الحُمام رضي الله عنه وبيده تمرات يأكلهن فقال : يارسول الله ليس بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء يعني ـ المشركين ـ قال : نعم » فألقى التمرات من يده وقال : إن صبرت حتى آكل التمرات فإني حريص على الدنيا . فتقدم وقاتل حتى قتل رضي الله عنه[(٣)] وأمثاله في أصحاب رسول الله ﷺ كثير . فهذا هو الإيمان الصادق . وتلك هي العقيدة الثابتة التي لا تتزعزع .

وبعد هذا البيان عن اليوم الآخر ، وعن الجنة والنار لعلك تتساءل وتقول :

---

(١) الصف : ١٠ ـ ١٢ .

(٢) الأحزاب : ٢٣ .

(٣) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣ ـ ٤٢٦) وقال صحيح وراجع ترجمته في أسد الغابة (٤ ـ ٢٩٠) .

أين تكون الجنة ؟ وأين تكون النار ؟

فاعلم ياأخي أن ما جاء في بعض الكتب الموضوعة ، أو المدسوسة على الإسلام من أن الجنة في السماء السابعة والنار في الأرض السابعة فإن هذا لا أصل له ولا صحة له .

فكيف تكون الجنة في السماء ، والسماء لاتبلغ جزءاً منها ؟ ! ! وكيف تكون النار في الأرض ، والأرض بما فيها لو وضعت في النار كانت كحلقة ملقاة في فلاة ؟ ! ! بل القول الفصل عن هذا التساؤل أن الجنة والنار خارجتان عن نطاق السموات والأرض فعندما تنطوي السماء وتبدل الأرض . وتذهب السموات والأرض وما فيهما عندها تبرز الجنة والنار وتظهر الآخرة وإذا بك في كون أوسع من الكون الذي أنت فيه الآن . وإذا بك نشأة أخرى يعلم الله كيف حقيقتها .

قال الله تعالى :

﴿ ونُنْشِئَكُم فيما لا تعلَمُونَ ﴾[1] .

ومثال ذلك عندما كنت جنيناً في رحم أمك وأنت في الرحم تسرح وتمرح وتتحرك وتشعر أنه ليس هناك شيء أوسع مما أنت فيه وعلى فرض لو كنت تشعر وتعقل لو أتاك مخبر وقال لك : إنك ستخرج إلى كون أوسع مما أنت فيه بما لايقدر ووصف لك الدنيا وكيف ستكون بها بعد خروجك من الرحم ألا تعجب لذلك ؟ فكذلك أنت في الدنيا وستنتقل إلى الآخرة التي هي أعظم من الدنيا .

والذي أخبرنا عنها أصدق المخبرين وهو رب العالمين رب الآخرة والأولى . وكل ماأخبر به هو الصدق وكل ما وعد به هو الحق .

---

(١) الواقعة : ٦١ .

﴿ ومَنْ أصدقُ منَ اللهِ حَديثاً ﴾ .

فهذا ما أردت بيانه عن اليوم الآخر وعن الجنة والنار وإذا أُدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ونودي ياأهل الجنة خلود فلا موت ، وياأهل النار خلود فلا موت . عندها :

﴿ وتَرَى الملائِكةَ حَافِّينَ من حَولِ العرشِ يُسبِحونَ بحَمدِ رَبِّهم وقُضِيَ بينهم بالحقِ وقِيلَ الحمدُ للهِ ربِّ العَالمينَ ﴾[1] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبهِ وسلم صلاة نستوجب بها شفاعته يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

والحمد لله رب العالمين .

بعونه تعالى تم طبع وإعادة كتاب « اليوم الآخر » لمصنفه العالم « عبد القادر الحاج مطلق الرحباوي » .

وقام بتصحيحه ومراجعة نصوصه « الشيخ صفوت السقا » موضحاً مراتب الأحاديث الواردة في الكتاب .

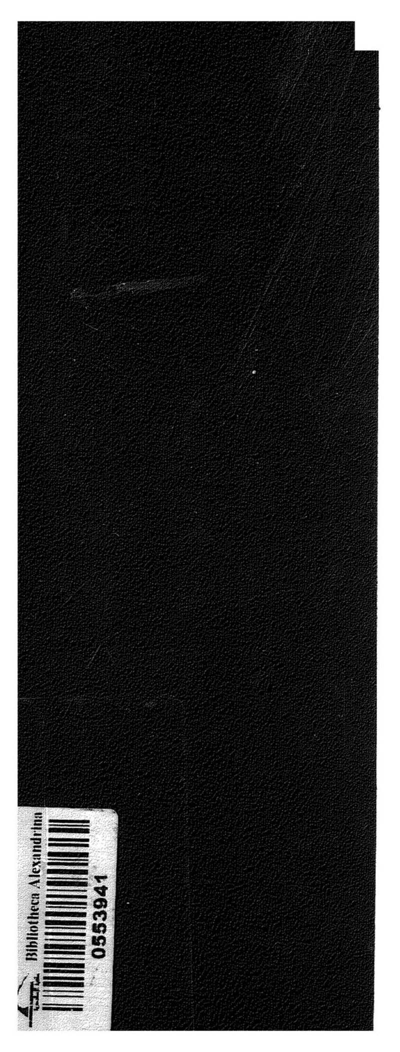
☆ ☆ ☆

---

(١) الزمر : ٧٥ .

فهرس كتاب « اليوم الآخر »

رقم الايداع : ١٩٨٧/٣٢٤٨



الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ، لا يكتمل إلا به ، وهو يوم مفزع مليء بالشدائد والأهوال .

وبالموت ينتقل الإنسان من الحياة الدنيا إلى أول منازل الآخرة ، فيكون القبر وما به من ثواب وعقاب ، وقبل قيام الساعة تكون أماراتٌ وعلاماتٌ عليها ، جاء بها الشرع الكريم ، بعد هذه الأمارات يكون الحشر والقضاء بين الخلائق ، فأول ما يقضي اللّه فيه بين الخلائق هو الدماء وأول ما يحاسب عليه الصلاة ، فتوزن الأعمال بالميزان وتتطاير الصحف فمِن آخذٍ صحيفتَه بيمينه فرحًا سعيدًا بها ، ومن آخذٍ لها بشماله كئيبًا حزينًا ، ويسير الجميع على الصراط ، فمنهم من ينجو من النار عابرًا إلى الجنة وما بها من لذات ، ومنهم الواقع في النار وما بها من أغلال وعذاب ، كل هذا وكل ما يتعلق بالآخرة تناوله هذا الكتاب بالتفصيل .

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية
ت : ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس : ٢٧٤١٧٥٠ (٠٠٢٠٢)
http://www.dar-alsalam.com
e-mail: info@dar-alsalam.com